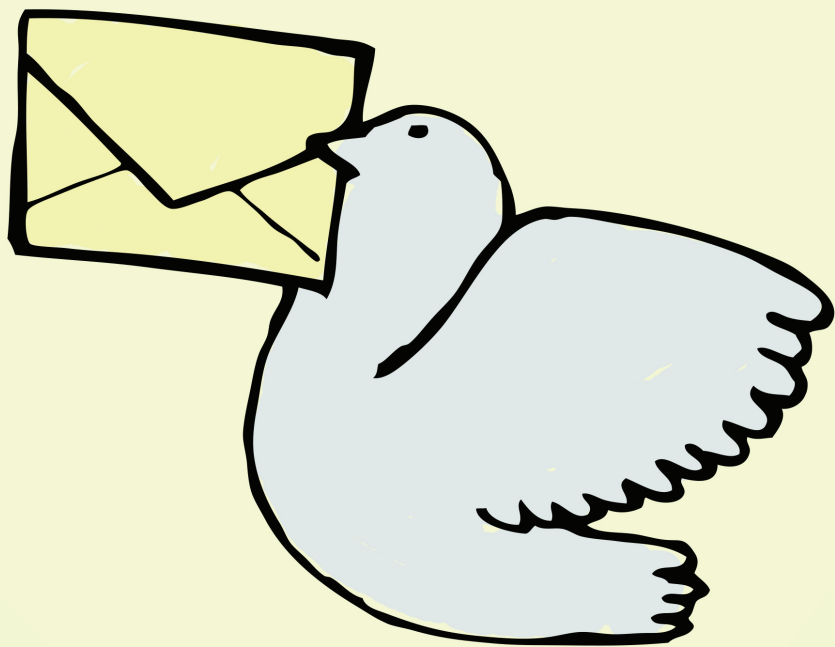


پیام مشرق



محمد اقبال

پیام مشرق

تألیف
محمد إقبال

ترجمة
عبد الوهاب عزام



الناشر مؤسسة هنداوي

المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شبيت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة

تليفون: ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٠) ٤٤ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: <https://www.hindawi.org>

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: إسلام الشيمي

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٠٦٠٤ ٢

صدر أصل هذا الكتاب باللغة الفارسية عام ١٩٢٣.

صدرت هذه الترجمة عام ١٩٤٥.

صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠١٣.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف مُرَخَّصة بموجب رخصة المشاع الإبداعي: نَسْبُ المُنْصَف، الإصدار ٤.٠. جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي خاضعة للملكية العامة.

المحتويات

٧	مقدمة المترجم
١٩	مقدمة
٢٥	شقائق الطور
٤٧	أفكار
٧٥	الخمير الباقية
٩٣	نقش الإفرنج
١٠٥	دقائق
١٠٩	اللمعات

مقدمة المترجم

سمعت أول ما سمعت بمحمد إقبال وأنا في لندن قبل عشرين عامًا. سمعت كلامًا مبهمًا موجزًا عن شاعر صوفي في الهند اسمه إقبال، لم يُعرفني هذا الكلام بإقبال، ولم يشوقني كثيرًا إلى معرفته.

وأذكر أن شابًا من مسلمي الهند تكلم يومًا عن إقبال في مدرسة الدراسات الشرقية من لندن، ولكن لهجته وعجلته في الكلام، وغموض الموضوع، حالت دون أن نعرف إقبالًا من كلامه.

وأذكر أن أستاذنا سير دنسن روس قال لي بعد المحاضرة إنه لم يدرك منها شيئًا. ومرت الأيام مرورها، ولا أدري كم طوت من السنين قبل أن أطلع على شعر إقبال. وكان محمد عاكف — رحمه الله — الشاعر الكبير، الذي يسمى في تركيا شاعر الإسلام، صديقًا لي وكنا نقيم في مدينة حلوان، فنلتقي بين يوم وآخر، ولا يمر أسبوع دون اللقاء مرة أو أكثر.

وكنا حين نلتقي نتذاكر الأدب العربية والفارسية والتركية، وأقرأ عليه شعره أحيانًا. وذات يوم أراني ديوانًا اسمه «پیام مشرق» للشاعر محمد إقبال، فقرأنا معًا فكان أول شعر لإقبال قرأت، راقني الشعر وشاقني إلى الاستزادة منه؛ إذ رأيت ضربًا من الشعر عجيبًا، يُدَّكر بحافظ الشيرازي وشعراء آخرين من الصوفية، ولكن فيه ما لم نعهد في شعر هؤلاء من فلسفة يصورها الشعر نورًا ونارًا في عين القارئ وقلبه. ورأى شاعر الإسلام شغفي بالكتاب، فأعارني إياه، رحم الله حافظًا الشيرازي يقول:

چو شوقم دید در شاغر می آفزود

فكان الكتاب عارية لم تسترد، فلا تزال النسخة عندي ذكرى لأول قراءة في شعر إقبال، وتذكراً للصديق محمد عاكف، وعلى حواشي الكتاب كلمات لعاكف في مواضع إعجابه من شعر إقبال.

ثم أهداني أحد معارفي من مسلمي الهند المقيمين في القاهرة المنظومتين «أسرار خودي» و«رموز بي خودي»، فقرأتها قراءة المشوق المترقب والوارد الظمان، وزدت إقبالاً لإقبال، ومعرفة به، وحباً له.

وشرعت أحدث الناس عن إقبال في مجالسي وفي مجلة الرسالة وأحاضر في شعره. وعرف الناس حبي إقبالاً وتشوقي إلى كتبه، فأرسل إليّ من يعرفني ما عنده من دواوين إقبال، حتى أهدى إليّ صديق في مكة منظومتي إقبال «مسافر» والمنظومة التي عنوانها «پس چه باید کرد».

ومر إقبال بالقاهرة في طريقه إلى المؤتمر الإسلامي ببيت المقدس، فاحتفلت به جمعية الشبان المسلمين، وحضرت الحفلة، فكلفني أستاذي الشيخ عبد الوهاب النجار — رحمه الله — أن أعرّف الحاضرين بالضيف الكريم، فتكلمت وأنشدت أبياتاً من شعر إقبال، أحسبها أول ما سُمع من شعره في بلاد العرب، ومما أنشدت:

أي که در مدرسه چوئی ادب ودانش وذوق
نه خورد باده کس از کارگه شیشه گران
خرد آفزود مرا درس حکیمان فرنگ
سینه آفروخت مرا صحبت صاحب نظران
برکش این نغمه که سرمایه آب وگل تست
أي زخود رفته تهی شو زنو أي دگران

ومما أذكر من ذكريات إقبال أن الأستاذ توماس أرنولد قدم القاهرة ليحاضر في التاريخ الإسلامي. وكان لي به معرفة قديمة. وكانت بيننا مودة، وقد أقام في حلوان حيث أقيم، فكنت أصحبه كثيراً في زهابه إلى جامعة فؤاد وعودته.

وقد ذكرنا إقبالاً ليلة ونحن نسير في حلوان، فقال: هو تلميذي. قلت: إذن هو شاب. قال: أظنه شاباً لأنه تلميذي! أنت لا تدري ما سني. فضحكنا ولم أسأله ما سنه.

ولما توفي إقبال دعيت إلى بيت المقدس لأذيع حديثاً عنه، فتحدثت في سيرته وشعره، وقلت: إن شاعر الإسلام العظيم جدير أن ينعى إلى المسلمين جميعاً من بيت المقدس قبله المسلمين الأولى.

واحتفلنا بتأبينه في جماعة الإخوة الإسلامية في القاهرة، وأنشدت قصيدة ترجمتها من ديوان بانك درا، ومما قلت في هذا الاحتفال:

في اليوم الحادي والعشرين من أبريل (سنة ١٩٣٨) والساعة خمس من الصباح، في مدينة لاهور مات رجل كان على هذه الأرض عالماً روحياً، يحاول أن ينشئ الناس نشأة أخرى، ويسن لهم في الحياة سنة جديدة، وسكن فكر جوال جمع ما شاءت له قدرته من معارف الشرق والغرب، ثم نقدتها غير مستأسر لما يؤثر من مذاهب الفلاسفة، ولا مستكين لما يروى من أقوال العظماء، ووقف قلب كبير كان يحاول أن يصوغ الأمة الإسلامية من كل ما وعى التاريخ من مآثر الأبطال وأعمال العظماء، وقرت نفس حرة لا يحدها زمان ولا مكان، ولا يأسرها ماض ولا حاضر، فهي طليقة بين الأزل والأبد، خفاقة في ملكوت الله الذي لا يُحد.

مات محمد إقبال الفيلسوف الشاعر، الذي وهب عقله وقلبه للمسلمين وللإنس جميعاً — الرجل الذي كان يخيل إليّ وأنا في نشوة شعره أنه أعظم من أن يموت، وأكبر من أن يناله حتى هذا الفناء الجثمانى — فاضت روح الرجل الكبير المحبوب في داره بلاهور ورأسه في حجر خادمه القديم «ألهي بخش» وهو يقول: إني لا أهرب الموت، أنا مسلم أستقبل المنية راضياً مسروراً.

كنت أقرأ كلام إقبال في الحياة والموت، وأرى استهانته بالحمام واستهزاءه بالذين يرهّبونه. وما كان هذا خدعة الخيال، ولا زخرف الشعر؛ فقد صدق إقبال دعوته في نفسه حين لقي الموت باسمًا راضيًا، جد المرض بإقبال، وكان يقترب إلى الموت وهو متقد الفكر، قوي القلب، يصوغ عقله كلمات يوقظ بها النفوس النائمة، وينثر قلبه شراراً يشعل به القلوب الهامدة. وكان يُعنى بنظم كتابه «أرمغان حجاز»: هدية الحجاز. وكان قلب الشاعر يهفو إلى الحجاز، وقد تمنى في خاتمة كتابه «رموز بي خودي» أن يموت في الحجاز، ومما نظم في أشهره الأخيرة:

آية المؤمن أن يلقي الردى باسم الثغر سرورًا ورضا

وقد أنشد هذين البيتين قبل الموت بعشر دقائق، وهما مما أنشأه أخيراً:

نغمات مضين لي، هل تعود ونسيم من الحجاز سعيد
أذنت عيشتي بوشك رحيل هل لعلم الأسرار قلب جديد

ولما قدمت الهند سنة ١٩٤٧م، قبل قيام دولة باكستان بأربعة أشهر، سافرت من دهلي إلى لاهور لزيارة ضريح إقبال وداره، ورؤية أولاده، واتفق أن كان نهابي إلى لاهور قبل ذكرى وفاته بأيام قليلة. وكان احتفال بي وبوفد إيراني رئيسه الصديق علي أصغر حكمت عند ضريح إقبال، وألقيت هناك كلمة عربية تنشر في رحلاتي الثانية، وأنشأت في دهلي أبياتاً عربية نقش في لوح من الرخام، وحملتها إلى لاهور لتوضع عند قبر إقبال. وقد وعد أوصياء إقبال أن يضعوها في جدار حجرة الضريح حين يتم بناؤها وهذه هي الأبيات:

عربي يهدي لروضك زهراً ذا فخر بروضه واعتزاز
كلمات تضمنت كل معنى من ديار الإسلام في إيجاز
بلسان القرآن خطت ففيها نفحات التنزيل والإعجاز
فاقبلنّها على ضالّة قدري ففهي في الحق «أرمغان الحجاز»

ترجمة شعر إقبال

عنيت بترجمة شعر إقبال نظماً ونثراً، وبنشر ما أترجم منه منذ قرأت هذا الشعر، وحرصت على تعريف قراء العربية بهذا الشاعر العظيم والفيلسوف المسلم. ترجمت من «پیام مشرق» و«أسرار خودي» و«رموز بي خودي» و«بانك درا». ولما قرأت قصته المنظومة «جاويد نامه» بدا لي أن أترجمها كلها فلم أفرغ، لها ولبيت أرتقب فرصة لتحقيق هذه الأمنية.

وبينما أنا في الحجاز وزيراً لمصر في المملكة العربية السعودية، جاءتني رسالة من الدكتور اشتياق حسين قريشي — أحد وزراء باكستان اليوم — يقترح عليّ ترجمة أحد دواوين إقبال، وكنت عرّفت معالي الوزير في دهلي قبيل قيام باكستان فتزاورنا وائتلفنا، وقد أجبته رسالته بأنني على نية أن أترجم جاويد نامه.

ثم قدمت باكستان سفيراً، فتحدث الناس عني وعن ترجمتي شعر إقبال، وأحاطني وحي إقبال في بلاده، فمضيت في ترجمة جاويد نامه. ثم بدا لي أن هذه القصة المنظومة الطويلة ليست أولى دواوين إقبال بأن تُعرف به قراء العربية. وبدا لي أن أبدأ بديوانه پیام مشرق؛ لأن به ألواناً من الرباعيات والقصائد والقطع في موضوعات شتى وأساليب مختلفة، وكأنما كان هذا وحيًا، فأخذتُ أترجم الرباعيات، وهي القسم الأول من الديوان، فتيسر لي النظم، فأقبلت عليه فازداد يسرًا، فانشرح صدري وأسرع قلبي فيه، وصارت الترجمة سرورًا وأنسًا لا يصد عنها شغل ولا تعب. وضعت الكتاب في حجرة النوم في متناول اليد من مرقدي، فكنت أترجم قبل النوم وحين أستيقظ صباحًا، وقلَّ أن يمضي يوم دون ترجمة، وكنت إذا انصرفت إلى عمل آخر علق بنفسي البيت والبيتان من شعر إقبال، فلا أستريح حتى أترجم ما علق بنفسي، وكنت أحيانًا يدركني التعب فأصرف نفسي عن الترجمة فلا تنصرف، فأحتال حتى أصرفها عنها لأستريح.

ولما فرغت من الرباعيات، وكنت أحسبها أيسر من غيرها، نظرت في القسم الثاني وهو الافتكار، فاطردت الترجمة وأسلست أكثر مما أسلست في الرباعيات. كنت آخذ البيت الأول من القصيدة فأقلبه على أوزان وقواف حتى يستقيم لي وزن وقافية، فكأنما وجدت سلكًا لنظم در لا يكلفني نظمه إلا أن أسلك واحدة بعد أخرى. والحمد لله الملهم. وكنت بين الحين والحين أترك پیام مشرق إلى منظومتي اللمعات فأنظم فيها حرصًا على أن أنشرها مع الديوان، فما ختمت پیام مشرق حتى بلغت فيها حدًا يمهّد لختمها. وكان هذا توفيقًا آخر.

وهكذا مضيت في الكتاب مهتديًا بالحديث الكريم «وكان أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل.» حتى فرغت منه في أواخر شهر آذار بعد ثلاثة أشهر من بدأ الترجمة.

كتب إقبال

لإقبال تسعة دواوين وكتب أخرى — انظرها مرتبة على تواريخها.

الشعر

أسرار خودي	بالفارسية	نشر سنة ١٩١٥م
رموز بي خودي	بالفارسية	نشر سنة ١٩١٨م

پیام مشرق	بالفارسیة	نشر سنة ۱۹۲۳ م
بانك درا	بالأردية	نشر سنة ۱۹۲۴ م
زبور عجم	بالفارسیة	نشر سنة ۱۹۲۹ م
جاوید نامه	بالفارسیة	نشر سنة ۱۹۳۲ م
مسافر	بالفارسیة	نشر سنة ۱۹۳۴ م
بال جبریل	بالأردية	نشر سنة ۱۹۳۵ م
پس چه باید کرد	بالفارسیة	نشر سنة ۱۹۳۶ م
(نظمها حينما أغارت إيطاليا على الحبشة)		
ضرب کلیم	بالأردية	نشر سنة ۱۹۳۷ م
أرمغان حجاز	بالفارسیة والأردية	نشر بعد وفاته

الكتب الأخرى

- علم الاقتصاد بالأردية نشر سنة ۱۹۰۱ م.
The Development of Metaphisies in Persia.
 - تطور ما بعد الطبيعة في بلاد الفرس نشر سنة ۱۹۰۸ م.
The Reconstruction of Religious Thought in Islam.
 - إصلاح الأفكار الدينية في الإسلام ۱۹۳۴ م.
 - رسائل إقبال إلى محمد علي جناح بالأردية نشر سنة ۱۹۴۴ م.
 - خطب إقبال وبياناته نشر سنة ۱۹۴۴ م.
 - رسائل إقبال بالأردية.
- بعض هذه الدواوين منظومة واحدة ذات فصول في بحر الرمل والقافية المزدوجة، مثل: جاوید نامه، وأسرار خودي، ورموز بي خودي، وبعضها في دواوين جامعة منظومات كثيرة.
- ولا تتسع هذه المقدمة لتفصيل الكلام في منظومات إقبال وبيان مزايا كل منها وتطور أفكاره فيها.

پیام مشرق وترجمته

یرى القارئ الديوان مقسمًا خمسة أقسام: شقائق الطور، والأفكار، والخمر الباقية، ونقش الإفرنج، والدقائق.

القسم الأول رباعیات، والثاني أفكار شتى في صور من الوزن والقافية مختلفات، وهو أعظم أقسام الكتاب قيمة. والثالث الخمر الباقية، وهي قصائد من الضرب الذي یسمى في الفارسیة غزلیات. وقد سار الشاعر فیها على طريقة حافظ الشیرازی وأمثاله في عرض أفكار دقيقة في صور شعرية جميلة يغلب فيها الرمز.

والكتاب كله معان وصور یعرفها من أَلَف الشعر الفارسی والأشعار الإسلامية المتصلة به، ویدرك كثيرًا من مرامیها ویأنس إلى عباراتها أكثر مما یدرك قارئ العربية، یقول إقبال في غزل من الخمر الباقية:

غاية الإفصاح رمز وكنی فلغی الخلوة رمز بعبر

ثم في پیام مشرق معان أخرى وصور یختص بها إقبال متصلة بفلسفته ولا بد من الإلمام بهذه الفلسفة لإدراكها، ثم في بعض الأبیات لا تتضح مقاصد إقبال وضوحًا یسكن إليه القارئ، وكان همي في هذه الأبیات أن أنقل الكلام كما هو لأجعل قارئ العربية یحس ما یحسه قارئ الأصل، ویفكر كما یفكر، ویلقى من الغموض ما یلقى.

وطریقتي في الترجمة أن أحافظ على المعانی الأصلية والصور التي تبرز فیها، بل على أوزان الشعر وأسلوب التقفية جهد الطاقة.

ولا ریب أن بعض العبارات المألوفة في لغة تعد مستغربة بل مضحكة إن نقلت كما هي إلى لغة أخرى. وعلى المترجم أن یتصرف في هذه العبارات. سمعت مرة من الشاعر محمد عاكف — رحمه الله — أن المترجم ینبغي له أن یترجم الجمل بالفرس أحيانًا. والتجارب تصدق هذا.

وخیر طريقة في الترجمة، كما هدتني التجربة، أن یقدر المترجم أن المعانی التي یعالجها قد ألهمها هو، ثم ینظر إلى طريقة التعبير التي اتخذها المترجم له وطرائق التعبير في اللغة التي یترجم إليها، فیتخذ الصور التي اختارها المؤلف إلا أن تقتضي لغة الترجمة تغییرًا أو تبدیلًا. ولا بأس أن یتصرف كذلك بالإطناب أو الإيجاز استجابة

لمقتضى الحال في اللغة التي يترجم إليها والناس الذي يترجم لهم. ومقياس التصرف في هذا أن يتبين المترجم أن تصرفه ليس بعيداً مما عرف من مذهب المؤلف ومن مقصده في موضع التصرف، وأن المؤلف لو عرض له هذا التصرف حين التأليف أو عرض عليه بعد التأليف لم ينفر منه.

ومن اللطائف في هذا أنني حينما قدمت رسالتي عن الفردوسي والشاهنامه إلى جامعة فؤاد الأول، وجلت للمناقشة فيها، سألني معالي الدكتور طه حسين باشا — وكان عميد كلية الآداب ورئيس لجنة الامتحان — عن هذا البيت مما ترجمته في بكاء أم سهراب على ولدها:

وتذري على الخد دمع الدم وتكبو وتنهض في المأتم

قال: هل كلمة المأتم في الأصل؟ قلت: لا. قال: دعك إليها الضرورة، قلت ضاحكاً: لعل الفردوسي حذفها للضرورة! وهذا كلام لا يبعد عند التأمل.

الأوزان والقوافي

أخذ الفرس الأوزان العربية لشعرهم وتصرفوا بها فزادوا في التفعيلات. فالرمل عندهم يكون ثُمانيّاً وهو في العربية لا يزيد على ست تفعيلات، والهجج يكون عندهم سداسيّاً وثمانيّاً، وهو في العربية رباعيّاً حتمّاً.

والأوزان القليلة في العربية مثل المجتث والمقتضب لا تزيد في العربية على أربع تفعيلات وتبلغ ثُمانيّاً في الفارسية، فالشطر في الفارسية يساوي بيتاً في العربية. ومن الأمثلة الواضحة في هذه الشطور العربية التي تأتي في الشعر الفارسي كقول حافظ الشيرازي:

ألا يا أيها الساقى أدر كأساً وناولها

هذا شطر في الفارسية وهو بيت كامل في العربية. والأبيات في الفارسية كالأبيات في العربية مبنية على استقلال كل بيت عما بعده. فلا يجمل ترجمة بعض بيت وآخر في بيت واحد. وقد تصرفت في هذه المشكلة بأن ترجمت أحياناً البيت الثماني في الفارسية بسداسي في العربية. على ما في هذا من عسر، وأحياناً

ترجمت الشطر ببيت مجزوء، فقابلت الشطر الذي فيه أربع تفعيلات في الرمل مثلاً ببيت مجزوء فيه أربع تفعيلات كذلك.

وللتمثيل نظمت قصيدتين وقطعة على الأوزان الفارسية يجدها القارئ في الصفحات، ثم القافية المردوفة كثيرة في الشعر الفارسي وشعر إقبال، وفي الترجمة كررت كلمات الردف في أول البيت لا في آخره بلفظها أو معناها وللتمثيل ردت القافية فيما ترجمت على الأوزان الفارسية.

فلسفة إقبال

لا يتسع المقام والوقت للكلام في فلسفة إقبال، ولكن لا بد من كلمات قليلة تعين القارئ على إدراك مقاصد الشاعر:

(١) لإقبال مذهب سماه الذاتية (خودي)، وشرحه في كتابه «أسرار خودي»، وخلصته أن الذاتية أساس الحياة؛ فالله تعالى ذات، والإنسان ذات، وحياة الإنسان تتجلى في هذه الذاتية، فعلى الإنسان أن ينظر إلى فطرته ويستخرج كل ما فيها، ولا يؤمن إقبال بوحدة الوجود التي تنافي الذاتية.

(٢) وأن الاستقلال في الفكر والابتكار يبين عن الذاتية والتقليد يضعفها أو يميته.

(٣) وأن الشدائد والمحن في هذه الحياة تقوي الذاتية. والآلام واللذات يكمل بعضها بعضاً. انظر أبياته عن شوبنهاور ونييتشا ص ١١٧، «بل الجنة» ينقص لذتها فقد الألم والهلم فيها. انظر ص ٧٦ وأن الإنسان حر مختار يتوهم أنه مجبر:

فقم إن كنت في ريب وأقدم تجد للرجل في الدنيا مجالاً

وهو في هذا كشيخه جلال الدين الرومي.

(٤) العقل والقلب والعشق: يجد القارئ هذه الكلمات مكررة في شعر إقبال، وهو كجلال الدين الرومي، وفريد الدين العطار، وكثير من الصوفية؛ لا يعول على العقل كثيراً، وإنما يعول على القلب أو العشق، وقد ضمن قصيدة له بيت جلال الدين:

في طريق العشق بالعقل يسار بسراج تبتغي شمس النهار

وانظر قصيدته في أول نقش الإفرنج: والعقل عند الصوفية عاجز جبان لا يدرك الحقائق الكبرى، ولكن يتصرف في الجزئيات والقلب موطن العشق. وقد بينت رأي العطار في العقل والعشق، وهو رأي شائع بين الصوفية في كتابي «التصوف وفريد الدين العطار» فليرجع إليه من يشاء. على أن العطار وغيره يكبرون العقل حين يصحب العشق أو يفنى فيه. يقول إقبال في رسالة بركسون ص ١٢٣: وما صورته وهم فأعد لعقل شب في أدب القلوب. ويقول في صفحة ١١٠.

حبذا عقل فسيح قد أحاط العالمين
نور أملاك ونار الـ أنس فيه دون مين

وانظر محاورة العلم والعشق ص ٣٤.
(٥) ولإقبال من الحيوان والنبات عرائس شعرية يولع بها لتمثيل فلسفته: الصقر لقوته، وتحليقه، ونفوره من الهبوط إلى الأرض. وعيشه منفردًا معتمدًا على نفسه مثل عال للذاتية، انظر وصية الصقر لفرخه ص ٤٠.
والشقائق مثال للاحتراق، أوراقها لهيب، والسواد في قلبها وسمة كي، انظر الشقيقة ص ٤٣.

والبراعة تمثل فلسفته؛ لأنها تضيء لنفسها. انظر ص ٤٠ و ٥١.
وقطرة الندى تمثل الروح تأتي من عالم الغيب. انظر قطرة الندى ص ٥٤ والعشق ص ٧٨.

سيرة إقبال

ولعل القارئ، بعد هذه المقدمة يقول: لم تذكر شيئاً من سيرة الشاعر! وجوابي أن سيرة إقبال أعظم من أن تحويها صفحات قليلة في هذه المقدمة، وقد فصلت في كتب أخرى.
ولا أحرم القارئ من هذه الحدود في تاريخ إقبال العظيم، وهي من رسالة نشرتها جماعة إقبال:

سنة ١٨٧٣	ولد في سيالكوت
سنة ١٨٩٠	ذهب إلى لاهور لإكمال دراسته
سنة ١٨٩٧	نال درجة B. A.
سنة ١٨٩٩	نال درجة M. A.
سنة ١٩٠٥	ذهب للتحصيل في لندن سنة
سنة ١٩٠٨	نال درجة دكتور في الفلسفة من جامعة ميونيخ
سنة ١٩٠٨	رجع من لندن فعمل محامياً في لاهور
سنة ١٩٤٧	انتخب عضواً في الجمعية التشريعية في بنجاب
سنة ١٩٣٠	انتخب رئيس الرابطة الإسلامية
سنة ١٩٣١	ذهب إلى مؤتمر المائدة المستديرة في لندن
سنة ١٩٣٢	وإلى المؤتمر الإسلامي في بيت المقدس

نشر الكتاب

أشكر لجماعة إقبال ورئيسها معالي الدكتور نذير أحمد تطوعهم لنشر الكتاب وتيسيرهم كل عسير لإخراجه قبل ذكرى إقبال الثالثة عشرة، ولا أنسى الأديب سيد عبد الواحد سكرتير الجماعة ومؤلف كتاب إقبال بالإنكليزية. فقد والى زيارتي أثناء طبع الكتاب، وأدى كل ما كُلف به.

حرصنا على أن ننشر ترجمة پیام مشرق قبل الحادي والعشرين من نيسان، يوم وفاة إقبال، فكان حتماً علينا الفراغ من الترجمة والطبع في زمن قصير، وكان علينا أن نكمل نقص الزمن بالجد والجهد، وقد لقينا عناء من عمال المطابع؛ فهم لا يعرفون العربية فتكثر أغلاطهم، وكان على الأستاذ عبد المنعم العدوي صاحب مطبعة العرب أن يكتب كل صفحة من الكتاب بخط واضح ييسر للعمال جمع الحروف، وزاد الأمر مشقة أنني حرصت على شكل بعض الحروف ولم تستعمل المطبعة الشكل من قبل. شق علينا العمل ولكن هونه فرحنا بإخراج كتاب لإقبال في لغة العرب، وكان لعمل الأستاذ عبد المنعم العدوي وجده ودأبه ليل نهار وإخلاصه وتواضعه ما يسر هذا العمل

پیام مشرق

الشاقي في هذا الوقت الضيق فاستحق شكري وإعجابي، وثناء جماعة إقبال، والحمد لله
ولي التوفيق والتيسير، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

كراچی عشية السبت ثامن رجب ١٣٧٠هـ/ ١٤ نيسان ١٩٥١م

مقدمة

كتب الشاعر هذه المقدمة باللغة الأردية

نظمت پیام مشرق لأجيب به الديوان الغربي لفيلسوف الحياة الألماني گوته الذي يقول فيه الشاعر الألماني الإسرائيلي هاينا: «هذه باقة من العقائد يرسلها المغرب إلى المشرق، ويتبين من هذا الديوان أن المغرب ضاق بروحانيته الضعيفة الباردة، فتطلع إلى الاقتباس من صدر المشرق.»

ما المؤثرات وما الأحوال التي كتب فيها گوته هذه المجموعة من الأشعار التي هي أحسن آثاره والتي سماها هو باسم «الديوان».

لابد لإجابة هذا السؤال أن نبين إجمالاً هذا التأثير الذي سُمي في تاريخ الأدب الألماني التأثير الشرقي. وددت أن أفصل في هذه المقدمة الكلام في هذا التأثير، ولكن المراجع الكثيرة التي يحتاج إليها في هذا البحث لم تتيسر في الهند، وقد بين پال هورن، مؤلف تاريخ آداب إيران، في مقال له مقدار ما كان گوته مديناً لشعراء الفرس، ولكن العدد المشتمل على هذا المقال من مجلة نارواندسود لم يمكن الحصول عليه في خزانة كتب في الهند ولا من ألمانيا، فلا مناص من أن أعتمد في كتابة هذه المقدمة على ما أذكر من دراساتي السابقة، وعلى الرسالة المختصرة المفيدة البارة التي كتبها في هذا الموضوع مستر شارلس ريمي.

كانت طبيعة گوته المتطلعة تميل منذ الحداثة نحو الأفكار الشرقية، وفي استراسبورج حيث كان يتعلم القانون لقي هررد ذا المكانة والصيت في الأدب الألماني. ويعترف گوته في سوانحه بما تركت صحبة هررد في نفسه.

لم يكن هرذر يعرف الفارسية، ولكن لغلبة النزعة الأخلاقية عليه، كان لكتب سعدي أثر بليغ في نفسه، حتى ترجم بعض فصول گلستان إلى اللغة الألمانية. ولم يكن لحافظ الشيرازي هذه المكانة عنده، وهو يقول داعياً معاصريه: قد غنينا كثيراً على أسلوب حافظ، وقد وجب الآن أن نقفدي بسعدي، ولكن مع حب هرذر الآداب الشرقية هذا الحب لا يعرف في شعره أو مؤلفاته الأخرى أثر من هذه الآداب، وكذلك كان شلر، معاصر غوته الثاني، بعيداً عن تأثير الشرقيين. وقد مات قبل ظهور التأثير الشرقي وينبغي ألا نغفل عن هذه المسألة: أن قصته «توران دخت» أخذت خطتها من قصة بنت سلطان الإقليم الرابع التي كتبها نظامي الكنجوي في «هفت پيكر» واستهلها بقوله:

گفت کز جمله ولایت روس
بود شهري بنیکوئي چو عروس

وسنة ١٨١٢ نشر فون همر ترجمة كاملة لديوان حافظ؛ وبهذه الترجمة ابتداء التأثير الشرقي في آداب الألمان، وكان عمر غوته إذ ذاك خمساً وستين سنة، وكان هذا على حين بلغ انحطاط الألمان غايته في كل ناحية، لم تكن طبيعة غوته مهيأة للمشاركة عملاً في الحركات السياسية في وطنه، فلما ضاق بالاضطراب الشائع في أوروبا، أخذت روحه القلقة المحلقة تلتمس عشاء في فضاء الشرق الساكن الآمن.

وقد أثارت أناشيد حافظ هياجاً كبيراً في أفكاره، فاختار آخر الأمر «لديوان الغربي» صورة متميزة ثابتة، ولكن ترجمة فون همر لم تكن مؤثرة في غوته فحسب، بل كانت مأخذاً لخيالاته العجيبة الغربية، فيبدو نظمه أحياناً كأنه ترجمة حرة من شعر حافظ، وأحياناً تجد قوة تخيلة في مصرع واحد مهيعاً جديداً تنير فيه مسائل في الحياة بالغة في الدقة والصعوبة.

يقول بيل شوسكي كاتب سوانح كو المعروف: كان غوته يرى صورته في نغمات بلبل شيراز، وكان يخطر له بين الحين والحين أن روحه لبست صورة حافظ فعاشت في بلاد الشرق. فنحن نجده شبيه حافظ في ذلك السرور الأرضي، وتلك المحبة السماوية، وذلك اليسر، وذلك العمق، وذلك الغليان والتوقد، وتلك السعة في المذهب، وهذا النور القلبي، وذلك التحرر من الرسوم والقيود. بل في كل أمر حافظ لسان الغيب وترجمان الأسرار وكذلك غوته. ولحافظ عالم من المعاني في ألفاظ بسيطة في ظاهرها، وكذلك في طريقة غوته المطبوعة تتجلى الحقائق والأسرار وكلاهما نال إعجاب الأمير والصلوك،

كلاهما أثر في فاتحي عصره العظام «يعني حافظ في تيمور وگوته في نبوليون»^١ وكلاهما في عصر اضطراب عام وخراب، حافظ على السكون والطمأنينة في قلبه مبتهجاً بالمضي في ترنمه القديم.

ثم گوته مدين في أفكاره لغير حافظ: للشيخ عطار وسعدي والفردوسي، وللأدب الإسلامي عامة، فقد كتب في بعض المواضع غزلاً في قيود القافية والرديف وهو يستعمل في لغته استعارات فارسية بغير تكلف مثل: جوهر الأشعار، وسهام الأهذاب، والطرة المعقودة، بل هو في فورة الفارسية لا يحترز من الإشارة إلى الولوع بالمرد، ثم أسماء أقسام الديوان فارسية كذلك مثل: «مغني نامه - ساقی نامه - عشق نامه - تيمور نامه - حکمت نامه وغيرها» ومع هذا كله فليس هو مقلداً أي شاعر فارسي. فطرته الشعرية حرة ولا ريب، وإنما غناؤه في مروج الشقائق الشرقية عرضي محض. وهو لا يفرط في غريبته، وإنما يقع بصره وحده على الحقائق الشرقية التي تلائم نظرتة الغربية، ولم يميل إلى التصوف العجمي قط، وكان يعلم أن أشعار حافظ تفسر في المشرق تفسيراً صوفياً، ولكنه لم يكلف إلا بالغزل محضاً، ولم يهتم بالتفسير الصوفي في كلام حافظ أي اهتمام. وكانت معارف مولانا الرومي وحقائقه الفلسفية مبهمة عنده. لا يمكن أن ينكر الرومي رجل مدح سبنوزا (فيلسوف هولندي كان يقول بوحدة الوجود) وأعمل قلمه في الدفاع عن برونو (فيلسوف إيطالي وجودي)^٢.

والخلاصة أن گوته في الديوان المغربي اجتهد في إظهار الروح العجمية في الأدب الألماني.

وقد أكمل الأثر الشرقي الذي بدأ في ديوان گوته الشعراء الذين جاءوا بعده: بلاتن وروكرت وبودن ستات.

فأما بلاتن فقد تعلم الفارسية لمقاصد أدبية، ونظم غزلاً في القافية المروقة، بل في العروض الفارسي، ونظم رباعيات، ونظم قصيدة في نبوليون، واستعمل الاستعارات الفارسية بغير تكلف مثل گوته: عروس الورد. والطرة المسكية، وشقائق العذار، وهو مولع بالتغزل المحض كذلك.

^١ لا تصح رواية التقاء حافظ وتيمور؛ فقد توفي الشاعر قبل أن يفتح تيمور شيراز.

^٢ يعني أن الرومي كان من القائلين بوحدة الوجود فلو عرفه گوته لُغني به كما عُني بهذين الفيلسوفين.

وأما رونرت فكان ماهرًا في الألسنة الثلاثة: العربية والفارسية والسانسكريتية، وكان لفلسفة الرومي مكانة عظيمة في رأيه، وتأثير مولى الروم فيما كتب من غزل كان أوضح وكانت مصادره من الأشعار الشرقية أوسع بما عرف من لغات الشرق.

وقد التقط لآلئ الحكمة من مخزن الأسرار لنظامي وبهارستان جامي وكليات أمير خسرو، وكلستان سعدي، ومناقب العارفين، وعيار دانش، ومنطق الطير، وهفت قلزم، بل زين كلامه بقصص وروايات إيرانية ترجع إلى ما قبل الإسلام. وقد أحسن نظم بعض واقعات التاريخ الإسلامي وأشخاصه، مثل موت محمود الغزنوي وغزو محمود سومنات والسلطانة رضية^٢ وموضوعات أخرى.

وأكثر شعراء الأسلوب الشرقي قبولاً بعد گوته، بودن ستات الذي نشر منظومات بالاسم المستعار «مرزا شفيع»، وقد لقيت هذه المجموعة الصغيرة من القبول ما اقتضى طبعها مائة وأربعين مرة في مدة قصيرة. أحسن هذا الشاعر تصوير الروح العجمية حتى بقي الناس في ألمانيا زمناً طويلاً يحسبون أشعار مرزا شفيع ترجمة شعر فارسي. وقد استفاد بودن ستات من أمير معزي وأنوري كذلك.

ولم أرد أن أذكر في هذا الصدد هاينا معاصر گوته المشهور؛ إذ لم يكن في الجملة ذا صلة بالتأثير الشرقي، ولم يهتم بما اقتبس شعراء ألمانيا من الشعر الشرقي إلا ديوان گوته — على أن الأثر العجمي بين في مجموعته المسماة «الأشعار الجديدة»، وقد أجاد جدًّا في نظم قصة محمود والفردوسي، ولكن قلب هذا الشاعر الألماني الحر لم يستطع الإفلات من شرك سحر العجم، حتى لقد تصور نفسه مرة شاعرًا إيرانيًّا أجلي إلى ألمانيا يقول:

يا فردوسي! يا جامي يا سعدي! إن أخاكم في سجن الغم يخفق حنيئًا إلى أزهار
شيراز.

ثم نذكر من مقلدي حافظ الأدنين منزلة، دومر، هرمن ستال لو شكى. ستايك، لتز، لنت هول، وفون شاك. وهذا الأخير كان ذا منزلة عالية في العلم، ونظمه قصة إنصاف محمود الغزنوي وقصة هاروت وماروت مشهور، وأوضح الآثار في كلامه أثر عمر الخيام.

^٢ من دولة المماليك التي قامت في دلهي.

وبعد فلا بد من بحث طويل لكتابة تاريخ كامل لتأثير الشرق في الأدب الألماني، والمقابلة بين شعراء إيران وألمانيا؛ لتقدير أثر العجم تقديرًا حقًا، ولكن لم يتيسر الوقت ولا العدة لهذا البحث، ولعل هذا البحث المختصر يثير قلب أحد الشبان للتحقيق والتدقيق في هذا الشأن.

وأما «پیام مشرق» الذي كتب بعد «الديوان الغربي» بمائة سنة فلست في حاجة إلى الإبانة عنه، فسيرى الناظرون فيه بأنفسهم أن أكثر ما يرمي إليه هو النظر في الحقائق الأخلاقية والدينية والمذهبية التي تتصل بالتربية الباطنية في الأفراد والأمم. ولا ريب أن بين ألمانيا قبل مائة سنة وأحوال الشرق الحاضرة تشابهًا ما، ولكن الحقيقة أن الاضطراب الباطن في أمم العالم — الذي لا نستطيع تقدير خطره لأننا متأثرون به — هو مقدمة انقلاب حضاري وروحاني عظيم جدًا.

كانت الحرب العظمى التي قامت في أوروبا قيامة كادت تمحو نظام العالم القديم من كل جوانبه، وإن الفطرة لتخلق اليوم في أعماق الحياة من رماد الحضارة والثقافة إنسانًا جديدًا وتخلق عالمًا جديدًا لإقامة هذا الإنسان، عالمًا يرى هيكله غير البين في مؤلفات آين شتاين وبركسون.

لقد رأت أوروبا بعينها النتائج المخوفة لمثلها الاقتصادية والأخلاقية والعلمية. وسمعت من سنيور نيتي «الذي كان رئيس وزراء إيطاليا» قصة «انحطاط الفرنج» المحزنة، ولكن وأسفاه! لم يستطع عباد القديم الذين سمعوا حقائقه أن يقدروا الانقلاب المدهش الذي كان يثور في الضمير الإنساني.

وإذا نظرنا نظرة أدبية خالصة نرى أن اضمحلال قوى الإنسان بعد الحرب لا ييسر نشوء مثل روحية صحيحة ناضجة. بل يخشى أن تغلب على طبائع الناس هذه الإباحية المنهوكَة الضعيفة الأعصاب، التي تفر من مصاعب الحياة، والتي لا تميز بين نزعات القلب وأفكار العقل. لا شك أن أمريكا عنصر صحيح في الحضارة الغربية فلعل هذا الإقليم خالص من قيود الروايات القديمة، ولعل وجدانه الاجتماعي يقبل راضيًا الأفكار والنزعات الجديدة.

إن الشرق، ولا سيما الشرق الإسلامي، يفتح عينه بعد نوم القرون المتطاولة. ولكن يجب على أمم الشرق أن تتبين أن الحياة لا تستطيع أن تبدل ما حولها حتى يكون تبدل في

أعماقها، وأن عالمًا جديدًا لا يستطيع أن يتخذ وجوده الخارجي حتى يوجد في ضمائر الناس قبلًا. هذا قانون الفطرة الثابت، الذي بينه القرآن في كلمات يسيرة وبليغة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ إنه قانون يجمع جانبي الحياة كليهما: الفردي والاجتماعي. وقد اجتهدت في كتبي الفارسية أن أبين للناس صدقه، وأنه لجدير بالإكبار كل مسعى في العالم ولا سيما في بلاد الشرق، يقصد إلى أن يرفع أنظار الأفراد والجماعات فوق الحدود الجغرافية فيولد أو يجدد فيها سيرة إنسانية صحيحة قوية.

وأختم بالثناء على صديقي جودهري محمد حسين. إم. اي. فقد رتب مسودات «پیام مشرق» للطبع. ولولا احتماله هذه المشقة لكان عسى أن يتأخر نشر هذه المجموعة مدة طويلة.

إقبال

تنبيه

في الكتاب حواش للمؤلف والمترجم. وقد ميزنا حواشي المترجم بالحرف م، ولكن فاتنا هذا في أوائل الكتاب، وكل حاشية فيها بيان لفظ أو معنى هي للمترجم.

شقائى الطور

١

شهىءُ دلاله حفل الوجود وكل الكائنات من السجود^١
ألم تر أن شمس الأفق لاحت بوجه الصبح من أثر السجود؟

٢

بقلبي من تحرقه ضياءُ ويجلو النور في عيني البكاءُ
فزاد من الحياة نوى غبي يقول: العشق مس أو هراء

٣

نسيم العشق في الجنات جارٍ ويُنمي العشقُ أزهار البراري
ويخترق البحارَ له شعاعٌ فيهدي العشقُ حيتان البحار

^١ جمع ساجد.

۵

رموز العشق في ورق الشقائق وغمُّ العشق في رُوح الخلائق
وإن تصدع طباق الأرض تبصر نصيب العشق من دم كل عاشق

۶

وما كلُّ له في الحب كِفْل وما كل الوَرَى للحب أهل
على ورق الشقائق وسُم غم ويخلو من شرار القلب لعل^۲

۷

بهذا المَرَج مثلَ الريح أسري^۲ علام أهيم فيه؟ لست أدري
فإن أظفر وإن أخفق فإني شهيد تضرم الآمال عمري

۹

يقول العندليب: أيا صحابي! أغيرُ الغمِّ في هذا التراب؟
يشيخ الشوك في عرض الفيافي ويزوي الورد في عمر الشباب

^۲ اللعل: العقيق.

^۳ الريح: الرائحة.

١٢

لبدءٍ أو ختام لست أُسري أنا سرٌّ أحاول كشف سرِّ
فإن بدت الحقيقة دون ستر رجعت إلى «لعلَّ» و«ليت شعري»

١٣

أقلبي! كالفراش هوَّى، إلامه؟ ولا تمضي مضاء فتَّى، إلامه؟
بنارك فاحترق يوماً وأقدم بنار الأجنبي صلَّى، إلامه؟^٤

١٤

أقم بدنًا على كف الغبار^٥ شديد الأسر صلَّبًا كالحجار
وقلبًا فيه جيَّاشًا بهم كنهر في جمى الأطواد جار

١٧

أنجم الصبح تُسرَّع في فراق لعلك من رقادي ضقت ذرعًا
ضللتُ بغفلتي سُبُلِي ولكن أتيتَ وجزتنا يقظانَ تسعى

^٤ هذه الرباعية مردوفة. فيها الروي قبل الكلمة المكررة.
^٥ يكثر التعبير في الفارسية عن الإنسان بكف غبار «مشت خاك».

۲۰

وكم ذا في الوجود من الحبور! أرى اللذات في شوق الظهور
وَيَصْدَعُ غَصْنَهُ بِرَعْوَمُ زَهْرٍ فيبسم للحياة من السرور

۲۱

تقول فراشة من قبل خلق أنلني لمحةً قلق الحياة
رماي فاذره سَحَرًا ولكن أَذْقَنِي لَيْلَةً حُرَّقَ الحياة

۲۲

نبي الإسلام! سر في ضميري يُضيء كروح جبريل الرسول
أُخَادِعَ آزَرِيَّ الطبع عنه^٦ فهذا السر من سر الخليل

۲۴

أراك بسرّ أفلاك تجول وتجهل سر نفسك يا جهول
فوجّه — كالنواة — إليك عيناً لِيُنْبِتَ من قرارتك النخيل

^٦ آزري الطبع: الذي يشبه آزر والد إبراهيم. وكان ينحت الأصنام، وكان ولده الخليل يدعو إلى التوحيد.

٢٥

تَغْنَى طائر سحرًا طويلًا فأبدع شدوه نغمًا وقيلًا:
أَبْنُ عَمَّا بِصَدْرِكَ لَا تَدْعُهُ غناءً أو أنينًا أو عويلًا

٢٨

أَتَبْغِي عِنْدَ مِثْلِي مِنْ شَرَابٍ يَرُدُّكَ مِنْ وَجُودِكَ كَالْبَعِيدِ
فَلَا تَطْلُبُ بِسُوقِي مِنْ مَتَاعٍ سَوَى صَدْرٍ تَمَزَّقَ كَالْوَرْدِ^٧

٢٩

تَسْوَعُكَ رَوْضَتِي مَرَأًى إِذَا لَمْ يَسْرَكَ فِي طِلَافٍ بِذُلِّ رَوْحٍ
أُبَيِّنُ فِي عُرُوقِ الْوَرْدِ سِرًّا رَبِيعِي لَيْسَ مِنْ لَوْنٍ وَرِيحٍ

٣١

أَنَا فِي الرُّوضِ مَنْفَرْدٌ غَرِيبٌ عَلَى غَصْنِي أَنْوَحُ مَعَ الرِّيحِ
فَإِنْ تَكُ مِنْ رِقَاقِ الْقَلْبِ فَابْعُدْ فَإِنْ دَمِي لَيَرشَحُ فِي نَوَاحِي

^٧ جمع ورد. والورد في خياله يمزق صدره ليتجلى جماله.

۳۳

أهَاب اسكندرُ بالخضر: أَقْبَلُ وعَانِ الكَدَّ فِي بحرٍ وَبِرٍ
وموتن فِي الوغَى تزدَدُ حَيَاةٌ إلام تحيد عن كَرٍّ وفَرٍّ؟

۳۶

له نقش يجدد كل حين فلا تبقى الحياة على غرار
فإن صورت يومك مثل أمس فما يحوي ترابك من شرار

۴۱

بهذا المرج ما علّقت قلبي مضيتُ ولم تعوّقني القيودُ
كريح الصبح طفت به قليلاً مضيت ونصّرت مني الورودُ

۴۳

أجاش بقطرتي بحرًا وردّت حُمَيَّاه ترابي جام جم^٨
أقام العقل أ صنّامًا برأسي خليلُ العشق بادَرَهَا بهدمِ

^٨ كَأَسْ جَمَشِيدُ أَحَدِ مُلُوكِ الْأَسَاطِيرِ الْفَارَسِيَةِ كَانَ يَرَى فِيهَا الْعَالَمَ.

٤٦

أَتَيْتَ الطُّورَ تَلْتَمِسُ التَّجَلِّيَ فروحك منك ليست في وصال
فَأَقْدَمَ فِي طِلَابِكَ أَدْمِيًّا كذاك الله في طلب الرجال

٥٠

لخوف الموت قلبك في ارتعاد ولونك حال من خوف الشتات
فَنَفْسُكَ أَحْكَمُنْ وَازِدُنْ نَضُوجًا فإن تفعل تعش بعد الممات

٥٣

دع الرازيَّ في تفسير آي فإن ضميرنا نِعَم الدليل
يُضْرِمُ عَقْلَنَا وَالْقَلْبَ يَصْلَى بذا نمرودُ فَسَّرَ وَالْخَلِيلُ

٥٥

فَأَبْلَغُ شَاعِرِ الْأَلْوَانِ عَنِي لهيبك كالشقائق لا يضير
فَنَفْسُكَ لَا تَذِيبُ بِنَارِ قَلْبٍ ولا ليلاً لمحزونٍ تنير

* * *

جميلك أو قبيحك لا أراه جعلت عياره ربًّا وخُسرًا
بهذا الحفل مَنْ مثلي وحيدًا؟ أرى الدنيا بعينٍ فيَّ أخرى

٦٠

دع الشُّطَّانَ لا تَركُنْ إليها ضعيف عندها جُرسُ الحياة
عليك البحر صارع فيه موجًا حياة الخلد في نصبٍ تواتي

٦٢

أُتُكثِرُ لي حديثًا عن حياة ولستُ أراك فيها بالحقيق؟
سكرت بلذة التَّسيار حتى جعلتُ منازلِي ميل الطريق^٩

٦٧

مررت بزهرة ذُبُلْتَ فقالت وجودِي مثل ما طار الشرار
يذوب لمحنة النقاش قلبي فليس لنقش ليقته قرار

٦٨

أرى الدنيا على سعة كحوت من الأيام في بحر عميق
فقلبك أبصرنُ وأعجب لبحر من الأيام في كأس غريق

^٩ يعني أن كل منزل يبلغه يعده علامة على الطريق لا غاية. والميل الحجر يبين المسافة.

٦٩

أنا في المرح حديثُ الطيور ومِقُول كل برعوم صغير
فأسلم للصبا تُربي بموتي فما لي غير طُوف بالزهور

٧٠

أوادي الورد تبدي كل شيء فما سر الشقائق في لهيب؟
بأعيننا الربي أمواج لون فكيف تُرى بعين العندليب؟

٧٣

دماغي يعشق الأصنام كفرًا يربيهها ويعبد كل حين
فأبصر في فؤادي نار عشق بعيد أنت من سنني وديني

٧٥

عوالم من نجوم لا تُحدُّ يطير الفكر فيها لا يُردُّ
ولكن في خفايا القلب يُلفى لما يحتويه قد الحدُّ، حدُّ

۷۶

بسلسلة القضاء ربطت رجلاً وفي سعة العوالم ضقت حالاً
فقم إن كنت في ريب وحاول تجد للرجل في الدنيا مجالاً

۷۸

بضربك قد علت أنغام روعي أفي روعي وخارجها تكون؟
بدونك خامد وبك اشتعالي بلا كيف فكيف ترى بدوني

۷۹

أرى الأنفاس من جدواه موجاً ومن أنفاسه نابي ونغمي
على النهر المؤبد قد نبتنا وقطر نداء أعصابي وجسمي

۸۲

أيا طفل السجایا اسمع عتابي أإسلام وفخر بانتساب؟
فإن تعتز بالأنساب عرب فإن جزاءها هجر الصحاب

٨٣

أَفْغَان وَتَاتَار وَتَرْك وَفِي مَرْجٍ وَمِنْ غَصْنٍ نَمُونَا
حَرَامٌ بَيْنَنَا تَفْرِيقٌ لَوْنٍ رَبِيعٌ وَاحِدٌ فِيهِ زَهُونَا

٨٤

ثَوْتُ فِي صَدْرِنَا هَمٌّ كَبَارٍ بَطِينَتْنَا فَوَادٌ فِيهِ نَارُ
مِنْ الْخَمْرِ الَّتِي فِينَا أَضَاءَتْ مُقِيمٌ فِي زَجَاجَتَا شَرَارُ

٨٥

أَيَا قَلْبِي، أَيَا قَلْبِي، أَيَا قَلْبِي أَيَا فَلَكَي وَيَا بَرِي وَبَحْرِي
قَطَرَتْ عَلَى تَرَابِي كَالْنَدَى أَمْ نَبَتْ بَتَرَبَّتِي بُرْعُومُ زَهْرُ؟

٨٨

أَتَسْأَلُ مَنْ أَنَا مِنْ أَيْنَ حَيِّتُ؟ حَيِّتُ بَمَا عَلَى نَفْسِي طُوبِيتُ
بِهَذَا الْبَحْرِ مِثْلَ الْمَوْجِ أُسْرَى إِذَا لَمْ أَطُو فِي نَفْسِي فَنِيَّتُ

۹۰

عليك السير لا ترغب مقيلا وسر كالشمس لا ترقب دليلا
وهب للآخرين متاع عقل ونار العشق فاحفظها بديلا

۹۱

ألا يا عشق يا رمز الفؤاد ويا زرعي النضير ويا حصادي
تقادم أهل هذا الترب فاخرج بآدم محدث من ذا الرماد

۹۶

يرى قلب الشجاع الليث وهما وفي قلب الجبان الطيبي ببر
فإن تجبن رأيت الموج وحشا وإن تشجع فإن البحر بر

۹۷

أخمرًا خلتنني أم كأس خمر؟ ودرا خلتنني أم كيس در؟
أراني غير روعي وهي غيري متى أنظر إلى مكنون سري

٩٨

تقول: بطيرنا علقت قيود وفي شرك الجسم لها همود
ومعنى الروح بالأجسام يعلو مسنٌ سيوفنا هذي الغمود

٩٩

فكيف بقلبنا ولد الرجاء؟ وكيف سراج منزلنا يضاء؟
ومن في العين يبصر؟ ما يراه؟ وكيف حوى النهى طين وماء؟

١٠١

لنا كون لأزميل ونحت يقلبه صباحك والمساء
مثال من تراب لم يكمل يسويه بمبرده القضاء

١٠٣

طريقك فانحتته في كفاح طريق سواك مسلكه عذاب
فإن أبدعت في عمل فرى وإن يك مأتمًا فلك الثواب

۱۰۴

دلیل القلب لا یرضی نزولاً ولا یرضیه مأوک والتراب
فلا تحسبه فی جسد مقیماً فلا یرضی بشط ذا العباب

۱۰۶

تخذتُ لخلوتي طیني ومائی وبُوعد بین أفلاط وبیني
فلم أستجد وما عین غیری ولم أر عالمي إلا بعیني

۱۰۸

ترى رمز الحياة بكل كم مجاز فيه یا قلبي الحقیقه
بترب مظلّم ينمو ولكن له عین إلى شمس الخلیقه

۱۰۹

یضیء على المروج وكل سهب وكاس الورد فيه نور حب
وما تغشى الوری ظلمات لیل فحرقتہ السراج لكل قلب

١١١

وبالعدم استرابت ثم راغت فحلت قلب آدم للثواء

١١٢

بقلبي سر جثمان وروح فلا فزع إذا أَجَلِي أَتاني
فإِما غاب عن عيني كَوْنٌ فبَاقٍ أَلْف كُون في جناني

١١٤

مزاج الزهر أعرف في يقين وريح الورد في خلد الغصون
وحَبَّبَنِي إلى الأَطْيَار أَنِي عَرَفْتُ لها مقامات اللحون

١١٥

نظام الكون من شعر الرجاء له الأوتار من وتر الرجاء
بعيني كل ما يمضي ويأتي هو اللمحات من دهر الرجاء

١١٦

يهيم القلب في أثر الرجاء وصدري من ضجيج في عناء
فلا تطمع جليسي في حديثي! فإِنِّي من فَوَادِي في نداء

۱۱۹

أرى الحكماء تَحْطُمُ كل شكل ومن هذا الوجود بسومنا^{۱۰}
يريدون الملائك في طِلاب وما ظفروا بآدم في الحياة

۱۲۱

جلست مع الطبيعة ألف عام وُصِلْتُ بها وعن نفسي فصمت
قصارى سيرتي في ذاك أن قد نحتُ، وقد عبدتُ، وقد حطمت

۱۲۳

بنفسي جلوة الأفكار، ما هذا؟ وحولي محشر الأسرار، ما هذا؟
ابن لي يا حكيم: يقيم جسمي وروحي دائم التسيار، ما هذا؟

۱۲۵

بكيفك إن تُحْطُ خُبْرًا وكمَّك يَفْضُ من قطرة لك فيض يَمَّك
فيا قلبي لِمَ استجداء شمس؟ من الأنفاس نور ليل غمَّك

^{۱۰} معبد أصنام معروف في الهند.

١٢٦

أَفَقُّ ما القلب بالأنفاس يحيا ولا هو رهن ما يفنى ويبقى
أخا الأوهام لا ترهبُ حمامًا فإنَّ نَفْسُ مضى فالقلب يبقى

١٣١

إلى أهل التصوف والصفاء رجالِ الله أرباب الضياء:
أنا عبدٍ لِهَمَّةٍ عبدٍ نفس بنور النفس للخلاق راءِ

١٣٤

بسُدَّةٍ حاننا الغَبْرًا غبار ودورة كأسنا الفلك المُدار
حديث جهادنا مَضْنٍ طويلٌ ودنيانا لقصتنا اختصار

١٣٨

وما علَّقت بالأنغام قلبي وفي نغم الحياة أنا الخبير
وقد غنَّيت في الأغصان حتى تصيح الطير: من ذا يا زهور؟

۱۳۹

أَثَرْتُ بِنِعْمَتِي كُلَّ النُّوَادِي وَمِنْ شَرِّ الْحَيَاةِ جَعَلْتُ زَادِي
أَضَاءَ الْقَلْبِ مِنْ عَقْلِي وَلَكِنْ جَعَلْتُ عِيَارَ عَقْلِي فِي فَوَادِي

۱۴۰

رَدَدْتُ الْعُجْمَ فَتِيَانًا بِزَمْرِي وَرَاجَ مَتَاعِهِمْ مِنْ بَعْدِ خُسْرِ
وَكَانُوا هَائِمِينَ بِكُلِّ وَادٍ وَقَافِلَةً نَظَّمْتُهُمْ بِشِعْرِي

۱۴۱

بَرُوحُ الْعُجْمِ مِنْ نَغَمِي شَرَارٌ قَرَعْتُ لَهُمْ بِأَجْرَاسِي فَسَارُوا
وَعَالِيَتِ الْحَدَاءِ لَهُمْ كَعْرَفِي^{۱۱} تَبَاطَأَ مُحْمَلٌ وَنَأَتْ دِيَارُ

۱۴۲

نَفَثْتُ النَّارَ مِنْ رُوحِي نَفَثْتُ وَصَدَرَ الشَّرْقُ قَلْبًا قَدْ وَهَبْتُ
وَصَيَّرَ طَيْنَهُ لَهَبًا نُوَاحِي كَبَّرِقَ فِي سَجَايَاهُ نَفَذْتُ

^{۱۱} إشارة إلى بيت عرفي الشيرازي:

نوارا تلخ تر می زن چو ذوق نغمه کم یابی حدی را تیز ترمی خوان چون محمل را گران بینی

١٤٥

بأغصان الرجاء جنيت أكلاً وأفضى الدهر بالسر المنيع
أرأيت أخش للبهستان رباً فإن معي رسالات الربيع

١٤٧

بحار العجم ليس لها قرار وفي أحشائها درر كبار
ولكن لا أحب ركوب بحر إذا لم يحش في موج خطر

١٤٨

على دنياك تقضي بالهوان وستر للمغيّب كل أن
فأحكم يومك المشهود واعلم بأن غداً ضمير في الزمان

١٤٩

كرهت سيادة الإفرنج لكن سجودك للقباب وللقبور
ألقت عبادة السادات حتى لتتحت سادة لك من صخور

۱۵۰

إلام تعيش في رث الإهاب؟ إلام تعيش نملاً في تراب؟
فَطِرُ كالصقر معتزماً وحَلَقُ إلام أسير حباً في اليباب

۱۵۱

تخذُ في الورد والأزهار عِشّاً ومن طير دروساً في انتحاب
وإن ينقص قواك الشيبُ فأخذ من الدنيا نصيباً من شباب

۱۵۳

أهاب بمسمعي تراب قبر: وتحت الأرض يمكن أن يُعاشا
له نفس وليس لديه روح ذليل في مراد سواه عاشا

۱۵۷

سماطي ليس فيه ما يروق ولا في الكأس لألأت الرحيق
غزالي يغتذي عشب الموامي ولكن صدره مسك فتيق

١٥٨

قلوب المسلمين قبسن نارى ودمعى من عيونهم هتون
بروحى محشر قد غاب عنهم فلم تر ما رأيت لهم عيون

١٦٠

أرى للعشق تصريفًا عجيبًا يقلب كيف ما يهوى القلوبا
رماك بأدمع وسباك نفسًا وصيرني إلى نفسي قريبًا

١٦١

رأيتك لا تزال أسير طين إلى ترك وأفغان تُردُّ
أنا بشر بلا لون وريح وللتوران أو للهند بعد

١٦٦

أثار الشعر فى جنبى نارا وردَّ التراب فى طريقي شرارًا
حديث الحب حاوله لسانى فزاد السر تبيانى سرارًا

تولی بعدُ عن عقل الفنون وأدمی قلبه عشقُ الشجون
فلا تستفت إقبالاً لشيء فإن حکیمنا رهن الجنون

أفكار

الوردة الأولى

لا أرى في المروج لي من قريع
أبتغي في الغدير صورة نفسي
في سطوري رسالة بيراع
أمس قلبي وعبرة اليوم عيني
وأنا النجم خلفته الثريا
نسج الترب ثوب ورد علياً
أنا أولى زهور هذا الربيع
لأرى وجه مؤنس لي سميع
خط سطر الحياة في ترصيع
وغدي منيتي وكل بديع

دعاء

أيا مالنًا كأسِي بحانة فطرتي
وصيرُ أنيني ثروة العشق واجعلنُ
إذا مت فاجعلني سراج شقيقة^١
أذُب طين كأسِي من حرارة خمرتي
ترابًا بسينائي تسعر شعلة
وبالبيد أحرقني وزد نار وسمتي

^١ يعني زهرة من الشقائق.

رائحة الورد

وحوراء في الخلد ضاقت فقالت: «جهلنا بما تحتنا من جهاتٍ
يحير عقلي نهار وليل
غدت ريح ورد وذرت بغصن
وتفتح عيناً وتبسم كمًّا
لهذي الطليقة لم تبق ذكرى
سوى آهة سمت بالشذاة^٢

نشيد الوقت

قد أحاط الشمس حجري وحوى الأنجم صدري
أنا لا شيء ولكن فيكم روعي تسري
أنا في دور وقفر أنا في كوخ وقصر
أنا داء ودواء وأنا عيشة يسر
أنا سيف الدوران^٣
أنا عين الحيوان
إن جنكيز وتيمو ر قليل من غباري
ثورة الإفرنج فيها نفثات من شراري
إنما الإنسان والدن يا نفوشي وابتكاري
ودماء من قلوب في ربيعي كالبحار
أنا لفح النيران
أنا روض الرضوان
أنا سيّار مقيم إن هذا الأمر إمّر

^٢ الشذاة: الرائحة.

^٣ دوران الفلك.

^٤ ينبوع الحياة، وعين الحياة في الأساطير شرب منها الخضر فلم يمت.

إن في خمرة يومي من غد يظهر سر
 ألفُ كون فانظرَنها في ضميري تستسرُ
 ونجوم في حباك وقياب في خُضرُ
 أنا ثوب الإنسان
 أنا سر الرحمن
 سرِّي التقدير والتد بير من سحر فنونك
 أنت مجنون بليلى أنا صحراء جنونك
 أنا كالروح بري من خيالات ظنونك
 أنت في جوفي سر وأنا سر شئونك
 أنا حاد أنت نُزل أنا حقل أنت حاصل
 أنت فياض بلحن أنت نار في المحافل
 يا أسير الطين فگز أنت عن قلبك غافل
 انظرنه ملء كأس وهو بحر دون ساحل
 إن موجًا فيك يعلو
 منه يبدو طوفاني

الربيع

١

هلم فإن سحاب الربيع يخيم فوق الربى والوهاد
 وشدو العنادل في كل واد
 ودراجة والقطا في تهادي
 على حافة النهر جذلي شوادي
 شقيق وورد ضحوك ينادي
 فطرفك سرح بهذا المراد
 هلم فإن سحاب الربيع يخيم فوق الربى والوهاد

٢

هلم فملء الربى والسهول قوافل أزهاره والورود
نسیم الربیع علی کل عود
وللطیر إبداعها فی النشید
ومزقت الجیبَ حمراً الخدود^٥
جنی الحسنُ ناشئُ زهر نضید
وللعشق إبداعُ غمٍّ جدید
هلم فملء الربى والسهول قوافل أزهاره والورود

۳

صفیر البلبل ملء الجواء وصوت الصلاصل ملء النسیم^٦
دم المرج فی جوفه كالحمیم
فیا قاعداً صامتاً لا یریم!
دع الصمت واترك وقار الحلیم
وَحَمَرَ المعانی اشْرَبْنَ یا سقیم
تَدَثَّرْ بورِدٍ وَغَنَّ الندیْمُ
صفیر البلبل ملء الجواء وصوت الصلاصل ملء النسیم

۴

دع الدور واطلب فسیح البرائی وانظر إلى صفحات الجمال
علی حافة الماء دون ملال
تأملُ ترقُّقَ ماء زُلالٍ
وحدقُ إلى نرجس ذی دلالٍ
بُنَیَّاتُ نیسانَ ذاتُ اختیالٍ
وقبِّلَ عیوناً لها كاللّالی
دع الدور واطلب فسیح البرائی وانظر إلى صفحات الجمال

^٥ شقائق النعمان.

^٦ الصلاصل الفاخنة أو طائر يشبهها. والكلمة نفسها في شعر إقبال.

٥

وعين البصيرة فانظر بها أيا غافلاً عن عيان الخلق
 شقيق بدا حَلَقًا في حلق
 بأعطافه لهب قد علق
 على كبد فيه ذات حرق
 يلوح ندَى من دموع الفلق
 فحدّق إلى أنجم في شفق^٧
 وعين البصيرة فانظر بها أيا غافلاً عن عيان الخلق

٦

ثرى المرج صرّح في هيجه بما أضمرت مُهَجُ الكائنات
 فناء الصفات وكون الصفات
 وما أبدت الذات من جلوات
 وما خلته من معاني الحياة
 وما خلته من معاني الممات
 فليس له ها هنا من ثبات
 ثرى المرج صرح في هيجه بما أضمرت مهج الكائنات

الحياة الخالدة

لا تظنّ الخَمَّار وافى ختامًا
 يجمال المرح لا بثوب حياة
 من يحط بالحياة لم يرض قلبًا
 محكمًا كالجبال عِشْ، لا ضعيفًا
 كم من الراح في عروق الكروم!
 مزقته النسيم، كالبرعوم
 لم تخزه المنى بشوك أليم
 واهن النار طائشًا كالهشيم

^٧ يشبه الندى على الشقيق بالأنجم في الشفق.

أفكار النجوم

سمعت بكوكب لأخيه يشكو: لنا بحر وليس يلوح ساحلٌ
خُلقنا للمسير بلا وقوف فليس لركبنا أبداً منازلٌ

* * *

فإن تمض النجوم كما نراها فما جدوى العناء؟ وما نفيد؟
بأشراك الزمان لنا إसार سعيد من يجانبه الوجود

* * *

لهذا العبء محمله شديد فليت وجودنا عدم أبيد
كرهت القبة الزرقاء أوجاً حضيض الترب خير. لو نريد^٨

* * *

فطوبى لأبي آدم في طعان قد استولى على طرف الزمان
خليق بالحياة له قوام يجد: أو يخلق كل آن

الحياة

بكى في الظلام سحاب الربيع فقال: الحياة بكاء مديد
فقال له البرق في ومضه: هي الضحك في لمحة، لا تزيد
فمن أبلغ الروض هذا الحديث فصار حوار الندى والورود؟

^٨ لو كان لنا إرادة واختيار.

محاورة العلم والعشق

العلم:

أنا سر الكواكب والجهات وفي قيدي ثوى ماضٍ وآتٍ
وعيني حدقت فيما أمامي وما نظري وراء السابحات؟
وكم نغمت في عودي وبوقي وأسراري عرضت بكل سوق

العشق:

بسحرك سُجِّرَتْ هذي البحار وملء الجو سُمُك والشرار
وكننت لي الصديق فكنت نورًا ونورك مذ هجرت حماي نار
ولدت الأمس في حرم الرحيم
وصرت اليوم في قيد الرجيم
هلم فرد روضا ذا اليبابا ورد مشيب دنيانا شبابا
هلم بذرة من نار قلبي أقم في الأرض فردوسًا عجابا
كلانا الدهر خل لا يجور
للحن واحد بم وزير

غناء النجوم

وجودنا نظامنا
وسكرنا انسجامنا
في دورنا دوامنا
لا يرتجى مقامنا
في فلك مرامنا
ننظر سائرات

* * *

پیام مشرق

وجلوة الشهود
ومظهر البدود^٩
ومعرك الوجود
والعدم والموجود
والغيب والمشهود
ننظر سائرات

وحلبة الطعان
ونشأة الشجعان
وغير التيجان
وذلة السلطان
ولعب الزمان
ننظر سائرات
مضى زمان المولى
والعبد قد تولى
سكندر قد ولى
وقيصر قد ذلا
والوثن اضمحلا
ننظر سائرات

والصمت والصياحا
والذل والكفاحا
والخنec والطماحا
وتارة أفراحا

^٩ جمع بد وهو الصنم، معرب بت.

وتارة أتراحا
ننظر سائرات
عقلك في عقد وحل
من كم وكيف في شغل
مثل غزال قد عقل
مضطرب ومضمحل
ونحن في العليا نحل
ننظر سائرات

* * *

ما السر ما الظهور؟
وما الدجى ما النور؟
ما الغلب ما الشعور؟
ما فطرة ضجور؟
ما الغيب والحضور؟
ننظر سائرات

* * *

كشرك عندنا أمم
حولك عندنا لمم
يا من ب صدره خضم
قنعت بالطل انسجم
نحن بعالم نهم
ننظر سائرات

نسیم الصبح

أجیء من لُجِّ بحر
مسیراً لست أدري
أزجي لطائر غم
ونائراً تحت عش
بخضرة أتردى
حتى يهيج فيه
يمس أوراق ورد
فلا تميل غصون
وشاعر هيجته
مزجت أنفاس صدري
ومن قلال الجبال
من أين شدت رحالي
بشرى ربيع الجمال
نثار زهر غوال
وبالشقيق اتصالي
لوناً وريحاً وصالي
تلطفي واحتيالي
من طوفي المتوالي
هموم عشق ثقال
بلحنه والمقال

نصيحة صقر لفرخه

تعلم بنیَّ بأن الصقور
فكن مُحْكَمَ الرَّأْيِ شهماً جسوراً
بغات الطيور اهجرئها بعيداً
فتلك الرعايد نسل اللئام
أرى الباز صيداً لما اصطاده
فكم باشق قد أتاه النوى
فنفسك فاحفظ وعش في جذل
ودع للدراريح لين الجسد^{١٠}
متاع الحياة، تعلَّم، جهاد

لها قلب ليث وجسم صغير
عليَّ السجايا أبيعاً غيوراً
ودعها إذا لم تُردْ أن تصيداً
تدس مناقيرها في الرغام
إذا قلد الصيد ما اعتاده^{١١}
بصحبة لَقَاطِ حَبِّ هوى
جريئاً متيناً قوي العضل
وكن مخلباً كالمُدَى أو أَحَد
وصبر على محنة واجتهاد

^{١٠} يعني إن قلد الصقر الطيور الضعيفة التي يصطادها في عاداتها كان هو صيداً لها مغلوباً على أمره.

^{١١} دراريح: جمع دراج وهو طائر معروف.

نقول لفرخ عقابٍ عتيق: ولا تبغ سربًا كسرب الغنم
سمعت وصاة الصقور العتاق فليس لنا في رياض مجال
ولقطك حبًّا بأرض خطاء فإما خطأ في التراب النجيب^{١٢}
فإن بساط البراة الحجر نماك الأوابد زرق العيون
أصيل أبي بيوم الخطر جناحك من سطوات البروق
فطر في السماوات لا تخش خطبًا ولا تقبلن طعمة من أحد

«بريق الدماء يفوق العقيق»
توحد كقومك منذ القدم بألا نقيم بظل وساق
فسيح الفيافي لنا والجبال حباننا الإله عنان السماء
فأشرف منه حمام ربيب يحد مخالبهن الصخر
كأنك عنقاء جو متين كفيل بإنسان عين النمر
من الشهب فيك كريم العروق^{١٣} وكل ما أصبت يبيسًا ورطبًا
وكن راشدًا واستمع للرشد

سوس الكتب (الأرضة)

سمعتُ بمكتبي ليلة يقول مررت بكتب ابن سينا
ولم أدر حكمة هذي الحياة تجيب الفراشة في حرقه:
رأيت الكفاح يعد الحياة ينادي الفراشة سوس الكتاب
ونقبت في كتب الفارياي وما زلت من ظلمتي في حجاب
أرى نكتة لا ترى في كتاب رأيت الكفاح يمد الحياة

^{١٢} يعني: الصقر ونحوه، وكلمة النجيب في الأصل.

^{١٣} الشهب أي البيض وفيها تورية بشهب السماء.

نار بصدر عشق في أزل أنير
شمسًا أرى وفي كل ل ذرة أثور
شرارها من ناري الـ سماء تستعير
حللت صدر مرج كنفس أدور
وكاندى من تربي غصن بدا نضير
قال: قفي قليلاً ولهبي يغور
وما ثواء قلب من ألم يسير؟
ثوي بضيق غصن في قلق يفور
حتى كُسيت لوناً وعبق العبير
رشّ الندى طريقي بلؤلؤ ينير
والصبح لي ضحوك وببي الصبا تدور
حكى لعندليب وزد له نضير:
أنى سلبت ناري وخمد السعير
فقال في نواح: كم أغلي الظهور^{١٥}

أحمل من شمس
تشع في ضلوعي
فهل - وليت شعري -
للنار من رجوع

^{١٤} واحدة الشقائق، التي تسمى شقائق النعمان وهي في الشعر مثال لحرقه القلب. انظر المقدمة.

^{١٥} يعني أن الزهرة اشترت ظهورها بذهاب نارها وهو ثمن عظيم.

الحكمة والشعر

ابن سينا في غبار حائر ويد الرومي في ستر الحبيب
غاص هذا يجتني دُرًّا وذا كغشاء دار في اللجّ المهيّب
إن حقًا دون نار حكمة وهو شعر إن يصب نار القلوب

البراعة^{١٦}

وذرةٌ حقيرة قد جمعت قواها
كأنها فراشة من حُرّق تصلاها
قد نُورّت دجاها
فهي أياة خلفت وانعقدت شرارًا
من حرقه في قلبها تحولت نضارًا
وبصرًا نظرًا
فراشة في قلق تطير كل ناحية
على اللهب رفرفت حتى كأنه هيّه
أنا وأنت قالية^{١٧}
أو كوكب في صدره مستتر الضياء
وقد تدلّى هابطًا في الأرض لاجتلاء
من فلك السماء
أو قمر مصغر بجلوة تمام
فمنة الشمس على شعاعه حرام
لم يحوه مقام
يا لك من يراعة تصورت من نور

^{١٦} ذبابة تطير بالليل كالشرارة.

^{١٧} يعني تحب الوحدة وتكره التعدد الذي يقال فيه أنا وأنت.

پیام مشرق

مسیرھا سلسلۃ الـ غیاب والحضور
وسنة الظهور
یا مشعلًا للطیر فی معتکر الظلام
ما حرقة أحسستها فأنت فی هیام؟
حرارة الأقدام
نحن وقد نبتنا مثلك من تراب
نجهل فی اضطراب نبصر فی اضطراب
نخفق فی الطلاب
أقول قول واع مجرب شفیق:
لا تَسْعَيْنَ لِنُزْلٍ وامنض علی الطريق
وارضْ بذات التوفیق

الحقیقة

تقول لبطة صحبت عقابًا: أرى ما أدركت عینی سرابًا
أجابتها محاورَةً بحق: ولكنی أرى ماء عبابًا
فقال الحوت فی لجٍّ عمیق: هنا شيء ویضطرب اضطرابًا

حذاء: نغمة حادی الحجاز

یا ناقتی الخطّارة
وظبیتی المعطارة
وعدتی والشارة
والمال والتجارة
یا دولتی السیارة!
حتی الخطی قلیلاً منزلنا قریب
مطربة الرغاء

جميلة الرواء
محسودة الحسنة
وغيرة الحوراء
بنية الصحراء!
حُثي الخطي قليلاً منزلنا قريب
كم غصت في السراب
في وقدة اليباب
وسرت لم تهابي
في الليل كالشهاب
والنوم عنك نابي
حُثي الخطي قليلاً منزلنا قريب
قطعة غيم غادي
سفينة الرواد
كالخضر في البوادي
تمضين في سداد
فلذة قلب الحادي!
حُثي الخطي قليلاً منزلنا قريب
هيامك الزمام
وسيرك الأنغام
يتعبك المقام
لا الجوع والأوام
والسفر المدام
حُثي الخطي قليلاً منزلنا قريب
ممسية في اليمن
مصباحة في قرن
ترين حزن الوطن
كالخز تحت الثفن
إيه غزال الختن!

حِثِّي الْخَطِيءَ قَلِيلًا مَنْزَلَنَا قَرِيبَ
بَدْرِ السَّمَاءِ نَعْسَا
خَلْفَ التَّلَالِ خَنَسَا
وَالصَّبْحِ قَدْ تَنَفَّسَا
مَزَّقَ هَذَا الْغَلَسَا
وَالرِّيحِ تَزْجِي نَفْسَا
حِثِّي الْخَطِيءَ قَلِيلًا مَنْزَلَنَا قَرِيبَ
لِحْنِي دَوَاءِ السَّقَمِ
وَالرُّوحِ مَلءَ نَغْمِي
يَحْدُو الرِّكَابِ كَلْمِي
مَنْ جَارِحَ وَبَلَسَمَ
هَلُمَّ بَنَاتِ الْحَرَمِ!
حِثِّي الْخَطِيءَ قَلِيلًا مَنْزَلَنَا قَرِيبَ

بین اللہ والینسان

خَلَقْتَ الْأَنَامَ لَطِيفٍ وَمَاءٍ خَلَقْتَ تَتَارًا وَزَنْجًا وَفَرَسًا
خَلَقْتَ مِنَ التُّرْبِ هَذَا الْحَدِيدَ وَسَهْمًا خَلَقْتَ وَسِيفًا وَتُرْسًا
وَفَأَسًا خَلَقْتَ لَجْدَعٍ وَغَصَنَ
وَسَجْنًا صَنَعْتَ لَطِيرٍ مَغْنِي

الإنسان:

خَلَقْتَ الظَّلَامَ فَصَعْتُ السَّرَاجَ وَطِينًا خَلَقْتَ فَصَعْتُ الْكُؤُسَا
خَلَقْتَ جِبَالًا وَبِيدًا وَمَرَجًا خَلَقْتَ حَدَائِقَهَا وَالْغُرُوسَا
أَنَا مِنْ حَجَارٍ صَنَعْتَ مَرَايَا
أَنَا مِنْ سَمُومٍ صَنَعْتَ دَوَايَا

البراعة

تقول يراعة: لا تحسبني كنمل السوء يألمني رفيقي
ولا أعشو إلى نيران غيري
كما يهفو الفراش على الحريق
إذا حلك الظلام كعين ظبي أنرت بنور أضلاعي طريقي

وحدة

قد قلت للبحر يومًا في موجه المتعالي
أراك حلف طلاب فما تُكنُّ ببال؟
وكم حويت بصدر من لامعات الآلي
أفيك مثلي صدر بجوهر القلب حالي؟
فصدَّ عني بجزر

ولم يردَّ سؤالي
وقلت للطود يومًا: يا خاليًا من عناء
أنال سمعك صوت من زفرة وبكاء
إن كنت تحوي عقيقًا به عروق دماء
فواسني بحديث إني حليف شقاء
فصد عني صموتًا

ولم يرد سؤالي
جددت في السير حتى أتيت بدر السماء
فقلت: يا نضو سير إلى متى في مضاء
الأرض مرج زهور من نورك اللألاء
أخلف نورك قلب في حرقة وعناء
رأى الكواكب ترنو
فلم يرد سؤالي

* * *

وقلت لله ربي من بعد طوف البرية:
أما بدنياك هذي من ذرة لي نجية؟
أكل طينني قلب وذي البرايا خلية
طابت مروج ولكن ليست بشدوي حرية
أجابني بابتسام
ولم يرد سؤالي

قطرة الندى

قد قيل لي تدلّي من فلك الدراري
واستحكمي وسيري للبحر ذي التّيار
في الموج لا تحاري
تحولي واختاري
في الدرر الكبار
فما رضيت بحرًا لصحبتي بحال
عفت احتساء راح تسلبني خلالي
ما ضفت من خصالي
وعشت في اعتزال
قطرت كاللّالي
الورد لي سئول ما خطب طير السحر
وما جهات النظر؟
وما وراء البصر؟
ما الشوك حول الزهر
ما نحن في اصطحاب؟ من نحن يا ودود؟
ما طائري المغني رجّحه الأملود؟
ما يقصد الغرّيد؟
وما الصبا تريد؟

ما العالم العتيد؟

* * *

قلت: المروج حرب الـ حياة في الآفاق
حفل له نظام من لذة الفراق
الروح من إشراق
ونفسي أشواقي
سر من الخلاق
من فلك هبوطي من طينة فتقت
من لذة التجلي نموت إذ أشرقت
في الغصن قد خفقت
كم حُجِبَ مزقت
نفسك قد حققت
الدهر في اخضرار من دمعنا في السحر
وذي الجهات طُراً خداعنا في النظر
بالصدر سرب الزهر^{١٨}
من قلبنا كالشرر
ونورنا في البصر
في ثوب ورد إبر من شوكة تصول
شوك! أجل، ولكن نادمه الجميل
من عشقه نحيل وعنده الخليل
في روضه أصيل
القلب أخلينّه من صحبة الدهور
عينك فافتحنها للكوكب المنير
وصحبة البصير مثلي هلم طيري
في الفلك الكبير

^{١٨} الزهر: النجوم.

العشق

فكري قد أجدَّ كُلَّ سير
عدوت للطلاب في البراري
بغير خضر أطلب المنازل!^{١٩}
تطلب راحا كأسى الحطيم
منطوياً كال موج في البحار
عشقك فاض بغتة بقلبي
عرفني الوجود والفناء
على حصيدي مر كالبروق^{٢٠}
صُغقت تَوْأً وسُلبت حسي
رفعت للعرش العلي تُربي
وبلغت سفينتي مرساها
عندي حديث العشاق لا سواه
غنيت عن ومض العلوم حسبي

وطاف بين حَرَمٍ ودير
مرتدياً بالنقع كالإعصار
يحمل رحلي للخيال كاهل
كالصبح من شباكه النسيم
حيران كالإعصار في الصحاري
وحل كل عقدة في لبي
وصار ديري حرماً وضاًء
عرفني لذاة الحريق
فصلت من نفسي مثل العكس^{٢١}
بالسر قد أفشيت له لقلبي
وفاض قبحي رونقاً وتاه
لا أحمل الملام في بلواه
خفقي وناري ودموع الحب

حياتك فابغ في الخطر الجليل

غزال بث شكواه غزلاً
أرى الصيَّاد حولي كل حين
أبدل خيفة الصياد أمناً
وأنفي الغم عن قلبي المعنى

فقال سأقصد البلد الحراماً
فلا أستطيع في أرض مقاماً

^{١٩} بغير دليل كما دل الخضر الإسكندر.

^{٢٠} يكثر في الشهر الفارسي ذكرى إحراق البرق البيدر ويكنى به الصوفية عن قطع العشاق علائق الإنسان بالدنيا.

^{٢١} العكس الصورة والكلمة نفسها في الأصل.

أجاب رفيقه أن يا خليلي حياتك فابغ في الخطر الجليل
ونفسك فاشحذن في كل آن وعش أمضى من السيف اليماني
ففي الأخطار للهمم اختبار
لأرواح وأجساد عيار

الحياة

قد سألنا عن الحياة حكيمًا قال: خمر يطيب فيها الأمرُ
قلت بل دودة نمت في تراب قال لا! بل سمندر لا يقر^{٢٢}
قلت: والشر طبعها. قال لا بل خيرها قد جهلت والجهل شر
قلت: ما شوقها يسير لنزل قال: في الشوق منزل مستسر
قلت في الطين خلقها قال فانظر: شقت الطين حبة فهي زهر

الحور والشاع (معارضة لقصيدة الحور والشاعر لگوته)

الحور:

لا الخمر يومًا تطببـ لك ولا إلينا أنت ناظرُ
إنني عجبت لشاعر بهوى الأحبة غير شاعر
من حرٍّ أنغام الرجاء وحرقة الطلب المثابر
نفس تذيب بلوعة وتغزلُّ يشجو المزاهر
وخلقت بالألحان دنيا لك العجيبة خلق شاعر
تبدو لها إرم كما يبدو لعين فعل ساحر

^{٢٢} السمندر حيوان خرافي يعيش في النار.

الشاعر:

تَخْذَعْنَ قَلْبَ مَسَافِرٍ بالسحر من وخزات قائل
ما إن تحاكي لذة وخزات شوك في المجاهل
ماذا أقول وفطرتي لا ترتضي دعة المنازل
قلبي على قلق كما تهفو الصبا حول الخمائيل
فإذا نظرت إلى جميل رائع حلو الشمائل
خفق الفؤاد إلى الذي يعلوه حسنًا في المحافل
فمن الشرار إلى النجوم إلى الشמוש رُقِيَّ آمَل
إنني ليهلكني القرا ر فما أعوج على المراحل
وإذا شربت من الربيع الكاس تسري في المفاصل
أشدو بشعر آخر وربيعي الآتي أغازل
طلبي النهاية في الذي لا ينتهي فيه المُسائل
لا صابر نظري ولا قلبي عن الآمال غافل
تودي قلوب العاشقين بدارة الخلد المواصل
لا صوت محزون ولا ألم ولا واسٍ يسائل

الحياة والعمل (جواب لنظم هاتنا المسمى سوالات)^{٢٣}

يقول الساحر المسكين: دهرًا حييت ولم يَبْنِ لي ما أكون؟
فقال الموج في صخب وسير: وجودي السير والعدم السكون

^{٢٣} هاتنا شاعر ألماني.

طارق أحرق السفين فقالوا: ليس هذا من فعله برشيد
 غرباء ومن لنا برجوع ذا خطر في الشرع غير سديد
 أمسك السيف طارق في ابتسام قائلًا واثقًا بعزم شديد:
 مُلكنّا اليوم خالصًا كل ملك إنه ملك ربنا المعبود

النهر^{٢٤}

انظر النهر جاريًا في هيام بين خضر المروج مثل المجرّة
 كان في المهد في السحاب نؤومًا شاقه السير في مروج وخضرّة
 يبعث اللحن جاريًا فوق صخر صافي اللون في بهاء ونضرّة
 يقصد البحر ذا العباب طروبًا وعزوفًا عن كل شيء غريبًا
 منحته يد الربيع طريقًا من أقاح ونرجس وشقيق
 يضحك الورد أن تلبّث لدينا ويقول البرعوم: قف يا صديقي
 وهو قال عرائس المرج ماض في الرُّبى والوهاد غير رفيق
 يقصد البحر ذا العباب طروبًا وعزوفًا عن كل شيء غريبًا
 ومئات الأنهار في الحزن والسهر ل تناديه: يا فسيح المجال
 قد حمانا المسير قلّة ماء فارحمنًا من بغي هذي الرمال
 أفسح الصدر للرياح سريعًا حاملًا رفقةً ضعاف الحال
 يقصد البحر ذا العباب طروبًا حاملًا جوهراً كثيرًا عجيّبًا

^{٢٤} ترجمة نظم غوته المسمى نغمة محمد مع تصرف كثير. وفي هذا النظم الذي كتب قبل «ديوان الغرب» بكثير أحسن الشاعر في بيان تصوير الإسلام الحياة، وقد أُريدَ بهذا النظم أن يكون جزءًا من قصة إسلامية لم تكمل، وإنما أردنا بهذه الترجمة أن نبين عن رأي لگوته فحسب.

هدر النهر جائزًا كل سدّ
فاض سيلًا على رُبى ووهاد
جائز كل المروج والبلدان
بجدید یمر كل زمان
يقصد البحر ذا العباب طروبًا
وعزوفًا عن كل شيء غريبًا

الجنة

وأين بجنة لعب الليالي
ولا فيها ليوسف غم سجن
وليس خليلها يَصْلَى بنار
وليس لصَرَصَر فيها هبوب
ولا ليقينها «هل» أو «عسى أن»
وكيف يلذ عقل ذو ضلال
فلا تحفل بكون فيه نقص
وليس هناك من فلك يدور
ولا فيها زليخا تستجير
ولا بكليمها شرر يثور
فزورقها على أمن يسير
ولا لوصالها هجر مرير
إذا وضحت طريق لا تجور
به المولى وليس به الغرور

العشق

العقل يحرق عالمًا
لكنه بالعشق يعـ
العشق في الأرواح يخـ
إنني لأذكر راقصًا
بالعشق تراتح القلو
ما كل معنى ينطوي
أنصت لقلبك ساعة
في جلوة منه تغير
رف كيف في الدنيا ينير
للق كل لون أو يثير
ذا الحرف أو هو بي يدور
ب وإنه فيها سكير
في اللفظ، كم معنى يثور
فلعلما يدنو العسير

لغز السيف

ما جاهد يُنبطُ ماء الحجر لا يهتدي بالخضر كالإسكندر؟
كنظر العين صفي مشرق لا بلبل وهو غريق نهر
مصراعه مكمل منفرد ليس عليه منة للأشطر

الجمهورية

تريد معنى العلى من ساقطي همم وأين للنمل إقدام السليمانى^{٢٥}
فاتبع حكيمًا ودع جمهورهم، أترى بألف رأس حمار عقل إنسان؟

إلى داعية الإسلام في بلاد الفرنج

الدهر عاد بنار نمرود جواهر الإسلام رهن تجديد
هلم نُلِقِ الحجاب عن حُرْق كالشمس تغشى الورى بتجريد^{٢٦}
أمللت حور الفرنج من حكم ورُعت أصنامهم بتوحيد
فقل لأهل الحجاز عن سلمى وبث في الترك شوق معمود
على خراسان والعراق فعج ورد للعجم شوق تغريد^{٢٧}
كم انتظرنا لعازف ولكم شجا «جمال» بلحن مفئود^{٢٨}
جعلت عشقًا حديث ذوي هوس نثرت درَّ الكلام بالبيد

^{٢٥} نسبة إلى سليمان الحكيم وقصته مع النمل معروفة.

^{٢٦} أي بظهورها دون حجاب وفي الأصل بالعري.

^{٢٧} خراسان والعراق من ألحان الموسيقى أيضًا.

^{٢٨} جمال الدين الأفغاني.

غني الكشميري^{٢٩}

غني أخو الشعر رب البيان
يفتَح أبوابه إن ندر
فقليل له يا أنيس القلوب
فماذا أجاب الهمام الفقير؟
أإخواننا ما رأيتهم سداد
إذا كان في الدار ربُّ العرين
وإن غاب عنها أنيس الوری
ولبلل كشمير ذات الجنان
ويغلقها جاهداً إن حضر^{٣٠}
عجبنا وفعلك أمر عجيب
فقير بمُلك المعاني أمير:
أفي الدار غيري متاع يراد؟
غني ففيها متاع ثمين
فلا دار أفرغ منها ترى

إلى مصطفى كمال باشا^{٣١} (حزيران ١٩٢٢)

أمة كانت ومن حكمتها
قد عرفنا سر تقدير مضي
شرراً كنا، أجدنا نظراً
شيخنا أطفأ في أحشائه
صرصر البیداء في فطرتنا
وعلى الأفلاك دوى صوتنا
رُبَّ صيد قد أخذنا وثبة
وغدونا يوقع الصيد بنا
«كلما أمكن طرف فاركضنُ»
نحن آثار على مر العصور
فمضينا نقتفي سر الدهور
فإذا شمس على الكون تسير
نار عشق فختعنا في فتور
أذبلت ریح الصبا فينا الزهور^{٣٢}
فاسمعنه اليوم في نوح الأسير
دون أشراك كما انقضت صقور
ولنا قوس وسهم في الجفير
كم أمات العزم تدبير الأمور^{٣٣}

^{٢٩} محمد طاهر الكشميري الشاعر المتوفى سنة ١٢٨٧هـ.

^{٣٠} ندر خرج وهي لغة الحجاز اليوم.

^{٣١} كان الشاعر معجباً بـمصطفى كمال إعجابه بالعزم والإقدام، فلما رآه يقلد الفرنج عابه وقال: إن جديده قديم أوروبا.

^{٣٢} يعني خلقنا للجهاد فأضعفنا التراف.

^{٣٣} البيت الأخير للشاعر نظيري.

الطائرة

على غصن ورد بوقت السحر
«لقد سَلِبَ الأَجْنَحَ الأَدَمِي
فقلت له: «يا أمير الرياح
بطائرة قد ركبنا الهواء
وأية طائرة في الفلك
لها عزم صقر وأيدُ عقاب
تُدَوِّي وتزفر حين السفار
من الطين صار لنا جبرئيل
وغى الطائرة الألمعي الكلام
فأهوى إلى ريشه ينقر
فيا من يروك عقد وحل
أصلحت في الأرض بعد عناء

نغا طائر لطيور أُخَرُ:
وَمُكِّنَ في الأرض هذا الغبي»
أفي الحق إن قلته من جناح؟
شققنا بها في عنان السماء
يفوت مداها جناح الملك
بلاهور ترنو إلى فارياب^{٣٤}
وفي العش صمت كحوت البحار
من الأرض نحو السماء دليل
وأبصر ما قلته في الخصام
وقال مقالك لا أنكر
وفي قيد سحرك غُلُوْ وَسُقْلُ
فجئت لتصلح جو السما^{٣٥}

العشق

هو الحق ضاءت عليه القلوب
هلم أنبئك قول الخبير
وعاه الندى خلصة في السماء
وباح به الورد للعندليب

وليس بسر وسراً يرى
بمن قد رواه وعمَّن روى
وأسمعه الورد قطر الندى
عن العندليب روته الصبا^{٣٦}

^{٣٤} لاهور في باكستان، وفارياب في تركستان.

^{٣٥} البيت الأخير للشيخ سعدي الشيرازي.

^{٣٦} أبيات تمثل تطور العشق من قطرة إلى غناء بلبل إلى خفق الريح.

الخمر الباقية

غزليات

محافل التفريد	حَبَا الربيع رُبَانَا
للبلبل الغرَّيد	فاستيقظت أكمَام
في صبح دهر مديد	لا تحسبن أن خُلِقْنَا
حوى ضمير الوجود	فما نزال خيالاً
الكاس خير شهيد	لا تغتَرِرْ بعلوم
فلا تكن بمريد	إنَّ الفقير مريب
أوراد بالتنضيد	ضَمَّ الربيع شتيت الـ
أنظارنا في الورود	وبث ريحاً ولوئنا
لنفسه في شهود	من يُحكمَن نظرات
كلا ولا موجود	لم يَشْدُ يوماً بغيب
مقال شيخ رشيد:	قد قال في الحان فاسمع
والنار من نمرود ^١	في كل دهر خليل
فالعشق جدٌ عنيد	لا تُلْحَيْنَ أهل دير

^١ إشارة إلى قصة إبراهيم الخليل ونمرود الذي ألقاه في النار.

أقام أوثنان حب في القلب من محمود^٢
يضيع شدو حياة ينساب بين الهنود
فالميت ليس بحي بالفخ من داود

* * *

عقلنا ينحت رباً كل حين فهو من قيد إلى قيد رهين
أرفع البرقع جهراً لا تبلى ليس في حيك غيري ذو حنين
أنا من عيني غيور ناسج نظراتي لك سترًا في العيون
بسمه خلص ودمع ورنا ليس في الحب سواها من يمين
حبذا العشق ففي يوم النوى زاد باللوعة عهدًا لا يمين
أيها الطائر من صدري اقبسْ عود تيمور مضى لا لحنه
سادن الكعبة لا تأذن له فلاقبال إله كل حين

* * *

شكواي أمر عجيب من نور عيني شكاتي
فنظرتي لي حجاب وأنت في الجلوات
أبلغ خلألق نور ألحق من كلماتي^٣
حذار كف تراب للنفس في نظرات^٤
في محفل من ربيع نذوب من حركات
بالريش منا شرار في الفجر من آهات
يا واهن النفس تدري من أين لي نغماتي؟
حواك كون بعيد من عالمي وجهاتي
مثل الشقيق تراني بالروض في حسرات

^٢ السلطان محمود الغزنوي فاتح الهند الملقب بمحطم الأصنام.

^٣ يعني بخلألق النور الملائكة. م.

^٤ كف التراب: الإنسان، والنظر إلى النفس من فلسفة إقبال التي سماها أسرار خودي. انظر المقدمة. م.

والقلب عُرضة رمي
في عرف أهل قلوب
لكعبتي لم أسافر
وكم قبيل أقاموا
في دارة ضاء فيها الـ
فاخلق بطينك خلقًا
مثل ابتسام شرار
إن لم تكن ذا فضول
العشق أبعد شأنًا
في العجم أذكى نشيدي
والعُرب من نار شوقي

من أسهم اللحظات
الكدح سر الحياة
للأمن في طرقاتي
وأدبروا في شتات
هلال في مشكاة^٥
ذا يقظة وحصة
تلبُّث الفرصات^٦
فتلك إحدى نكاتي:
من ضائع الأتات
ما باخ من جمرات
لم تأتهم نفثاتي

* * *

في ذلك الحفل سؤلي
لذاك أزجي غنائني
في خلوة كل لفظ
يبث قلبي حديثًا
من أجل نظرة وجد
مظهر نظراتي
كالكم كل أموري
لكن لجلوة شمس
كالموج ليس كياني

عن محرم بي حقيق
وفيه لحن الصديق^٧
فيها كستر صفيق
بمقلتي وبموقي
لوجهك المرموق
بدمع عين طليق
لعقدة ولضيق^٨
أنمو بقلب مَشُوق
يهاب سيل العقيق^٩

^٥ يعني الدنيا جعلها دارًا صغيرًا فيها القمر كسراج في مشكاة. م.

^٦ جمع فرصة. م.

^٧ اللحن: الرمز في الكلام. م.

^٨ يتخيل الشاعر أن كم الزهر لانطباقه معقود. م.

^٩ العقيق كل سيل كبير يشق الأرض، ووادٍ بالمدينة. م.

ولست في البحر أبغي
ما بين عين ورأي
مهما تباعد عني
قد خطاً في ستر عيني
بشعوذاتٍ أراني
في قُبَّةٍ قد أحاطت
شوك بجنب سماء
لا أستريح بعُشٍّ
طوراً بشاطئ نهر
إلى الشطوط طريقي
بينى وبين صديقي^{١٠}
فكل حين رفيقي
نقوش كون أنيق
في قيد سحر وثيق
لا أرتضي بالضيق
لا بُدَّ لي من مروق
من لذة التحليق
طوراً بروض شقيق^{١١}

* * *

المغني الصبيح في ألحان
وتحني دم الربيع شقيق
نغمة تفتح العيون لمعنى
فتأمل بعين عشق وأبصر
فعيون العقول تظهر فيها
وعن العشق خذ دروس جهاد
إنما العشق جوهر لشعور
ولنا غاية من الشمس أعلى
إيه يا قطرة عن النفس تاهت
إن عاراً معيشة البحر إن لم
ورياض الربيع ألواح ماني^{١٢}
أي ظمأً به إلى الألوان؟
ضاق عنه طرائق التبيان
منه آياً تضيء دون بيان
هذه الكائنات سحر العيان
وافعلن ما تشاء في كل آن
وهو روح الإدراك والعرفان
إنما الشمس صوَّة الركبان^{١٣}
تطلبين المحال في الأكوان
تطلعي منه درة ذات شان

^{١٠} الرأي: رأي العين. م.

^{١١} في هذا إشارة إلى الصور التي تسمى خيال الظل، فالستر يظهر عليه الخيال لا الحقيقة فهو يقول إن هذا العالم نقوش في ستر العين تخدع عن الحقائق. م.

^{١٢} ماني صاحب مذهب المانوية، كان ماهراً في التصوير وترك ألواحاً مصورة في كتاب عرف باسم أرژنك ضرب به المثل. م.

^{١٣} الصوَّة: أحجار تجعل علامة على الطريق.

يا جهولاً بقدر نفسك لولا أنت كان العقيق كالصوان^{١٤}

قد هدمت الأصنام لم أرَضْ شكلاً	أنا سيل هدمت كل سدودي
ومن العشق قد رأيت كياني	كان عقلي يريني بوجودي
وبديرٍ ضراعتي وهواني	وصلاتي بكعبة التوحيد
ومن الذكر سبحتي بيمينني	فاعجبني من زنَّاري المعقود
منبع الحزن فيك غير نضوب	دمع قلبي حبسته عن خدودي
راق قولني، وسيرتي لجنون:	خمير شوق لسكرتي وشهودي

طوبى لمحرق عقل	بنار راح عتيق
من يغتني بمتاع	من ناره كالشقيق
أوحى الربيع إلى الزا	هدين بيع الدلوق ^{١٥}
فاغرس بكاس الحميّا	بستان وجه أنيق
قلبي رثى لفقيه	مجاورٍ بالعتيق
ما ابتاعه شيخ حان	فتوى بكاس رحيق
اللحن لا تقدُرْنه	على غنائِي الرقيق
فبرقة اللحن تغشى	إسكندرًا بحريق
لروض «ويمر» تهدي الـ	صبا سلام مشوق ^{١٦}
فذي الديار أضاءت	لعين ذي تحقيق

نوح ليلي القلق	والهموم في الفلق
والأنين من شرر	والقريض من حرق

^{١٤} يعني أن الإنسان جهل قدر نفسه وقدر أشياء ليس بها قيمة إلا بتقديره.

^{١٥} جمع دلوق: لباس بالٍ مرقع يلبسه الزهاد والشحاذون. م.

^{١٦} مدينة في ألمانيا أقام فيها الشاعر گوته كثيراً ومات ودفن بها.

أین حرص مجتهد	من تضرع العشق
ذاك فأس فرهاد	ذاك خسف في مذق ^{١٧}
قل لساكني حجب	عن ترابي القلق:
ذا الغبار ذو نظر	ذا التراب ذو فلق
مطربي! تسكرني	وتزيد في حرقني
نغمات مستحر	بالقلوب ذي علق
من حذار أرض سمر	قند بت في فرق
من هجوم جنكيز	أو هلاك في الحلق ^{١٨}
هات مطربي غزلًا	نظم مرشدي اللبق
لأقوز من لهب الـ	تبريزي بالحرق

منيتي أن يتجلى	ذلك البدر التمام
فيدي تمسك صدري	وبعيني اقتحام
ويقول الحسن: صبحي	ليس يغشاه ظلام
فيقول العشق: وجدي	ليس يخبر والهيام
ليس من يومي وأمسي	وغدي في زمام
ليس لي نجد وغور	ليس يحويني مقام
خمرة الأسرار أبغي	وكئوسًا لا ترام
وبحانات مجوس	دائر عندي جام ^{١٩}
لا تقل: ما لي ولحنًا	لا يرى فيه انسجام
فأنا طائر غيب	عن حبيبي لي كلام

^{١٧} فرهاد المهندس وخسرو برويز ملك الفرس، وكان وعد فرهاد أن يهب له معشوقته شيرين إذا شق طريقًا في الجبل، ففعل ولم يظفر بأمنيته فضرَب فرهاد مثلًا في العشق الخائب. م.

^{١٨} أشار إقبال أكثر من مرة إلى سمرقند وجنكيز كأنه يشير إلى ما أصاب المسلمين من هذه النواحي. م.

^{١٩} المجوس في الشعر الفارسي كالتصاري في الشعر العربي يذكر الشعراء خمرهم وحناتهم. م.

أرفع الستر وأشدو لي في اللحن مقام^{٢٠}
أنا صمصام دمء لي بالغمد كعام^{٢١}

* * *

غصن الحياة ندي من ظمئنا في الطلاب
عين الحياة أراها تَعِلَّة الهَيَّاب^{٢٢}
فمن أبث حديثي وأين أزجي ركابي؟
ولا تؤثر آهي ونظرتي في حجاب
فزمزمن في غباء واخفض نواح الرباب^{٢٣}
فلا تزال طيور تنوح تحت نقاب
أهل الحجاز تولوا قوافلي بسلاب
حبيبنا عربي فلا تَفُه بعتاب
بوزن عُجم وهند لا تبغ وزن خطابي
فأصل هذي اللآلي بالليل دمع انتحابي
هلم فالراح عندي من دُنْ عالي الجناب^{٢٤}
وخمرة القول أصبى من خمرة الأعناب

* * *

من كرى الموت لا تفيق عيون دون نور تفيضه من سناكا
إن من دونك الوجود محال ومحال فناؤنا في حماكا
قد حوى الكون قلبنا وهو فيه عقدة لا تحلُّ فاكظم فاك

^{٢٠} من مقامات الموسيقى. م.

^{٢١} الكعام — الكمام للجمال الذي يخشى صياله — وبالفتح جمع كعم وهو وعاء السلاح. م.

^{٢٢} عين الحياة في الأساطير عينٌ مَنْ شَرِبَ منها لا يموت، وقد شرب منها الخضر، والشاعر يقول: إن الحياة هي عطشنا في الكفاف لا ورود عين الحياة. م.

^{٢٣} الزمزمة كلام خفي. م.

^{٢٤} جلال الدين الرومي. م.

نغماتي الضعاف أحرقن صحبي
إن تضن الصبا بطلّ فدعها
حرقتي نغمة أبت أن تحاكا^{٢٥}
نار قلب الشقيق تأبى فكاكا^{٢٦}
فإلى الحق وجه القلب واصبر
سُدّة الوثن هذه وعليها^{٢٧}
لا تؤمل بغيره إدراكا
جبهات الأباة تأبى حكاكا

كتب إلى أحد الصوفية

لهيب الوجد من أسماء لا عندي ولا عندك^{٢٨}
وحر القلب في بيداء لا عندي ولا عندك
وشيخ أنت في حان وإني ناشئ ساق
عطاش نطلب الصهباء لا عندي ولا عندك
رهنًا قلبنا والدين حب الغيد من عجم
ونار الشوق من ظمياء لا عندي ولا عندك
حطام كان أصدافًا على شط لقطنها
فقدنا الدرة البيضاء لا عندي ولا عندك
وبلوى يوسف المفقود من يستطيع ذكرها
وخفق القلب في زلخاء لا عندي ولا عندك^{٢٩}

^{٢٥} أبت أن تنسبح يعني لا يستطيع إظهارها. م.

^{٢٦} يتخيل الشاعر أن الطل يخفف من حرقة الشقائق الملتهبة. يقول: لا نبالي إن لم يسقط الطل فهذه النار لا تفارقنا بأية حال. م.

^{٢٧} الوثن جمع وثن. م.

^{٢٨} في هذه الأبيات مثالان من الشعر الفارسي الأول أن وزن الهزج فيه مفاعيلن ثمانى مرات وهو في العربية لا يزيد على أربع، والثاني القانتى المردوفة والرديف هنا «لا عندي ولا عندك» والروي الهمزة الممدودة قبلها. م.

^{٢٩} زلخاء: زليخا عاشقة يوسف الصديق. م.

كفانا النور في المصباح قد أخفته أستار
فطوق النور في سيناء لا عندي ولا عندك^{٣٠}

قلبنا كون ولكن
ما به دور القمر
دوران ليس فيه
من عشيٍّ أو بُكرٍ
ويل ركب قد أسفَّ الـ
عزم فيه وضممر
فهو يرتاد طريقًا
ليس فيها من خطر
فدع العقل وموج الـ
عشق صارع لا تقرر
فبذاك النهر ضيق
ليس فيه من درر
كل ما يجري خيالك
أو خيالي في الأثر
هو في العين ولكن
مستسرٌّ كالنظر

غير مُجْدٍ بكاؤنا
ويلتا ضاع ذا النغم
نوح قلب ممزقٍ
حاصل الغم والألم

^{٣٠} الطوق: الطاقة. م.

پیام مشرق

خفق القلب ساعياً
يخلق الدير والحرم
هو فينا محدد
نحن فيه على قدم
نبذ الستر أهله
لُذْتُ بالنفس في حرم^{٣١}
غيرة العشق فانظرن
أيّنا شوقه احتدم^{٣٢}
مطرب الحان في الدجى
قد شدا معجب الحكم
نوقُ راح محرم
شرب راح لنا أمم
هي سير حياتنا
ما سوى السير يُغتَنم
ليس للموج منزل
أو طريق إذا التطم
أشعل النار في هشيـ
مي من قال في القدم
«منزل الكبرياء لي»
مرشد الروم ذا العلم

أبدٍ من طينك نارًا تضرمر
لا تجلّ بعد هذا يقدر

^{٣١} أهل السر: الذين في عالم الغيب، والشاعر على مذهبه في الذاتية يقول إنه لم يُبَالِ بالنظر إلى عالم الغيب، بل نظر إلى نفسه، وإن عشقه الغيور لم يتجه إلى غيره، بل غيره نظر إليه.

^{٣٢} جلال الدين الرومي. م.

مُلْكُ جم «لنظيري» مصرع:
«ليس من قومي من لا يُنحر»^{٣٣}
ساحر العقل يعبّي جنده
لا تُرْع للعشق جند ينصر
بمقام ولحون لم تحط
عود سلمى كلّ لحن يقطر
نظري في النفس أحكمت فلم
يتوجه لسواها النظر
فتجلّى الحب في كل الدنى
وأنا في شغل لا أنظر
ما جنون العشق في البید سدى
في قرى الحسن تعالوا نجأر^{٣٤}
وبصيد الوحش في البحر اهتفن
لا تقل: زورقنا لا يبحر
ملء عينيّ دليل ما مضى
في طريق ليس فيها خطر
اصحبن شرباً خليعاً واحذرن
عهد شيخ ليس فيه ذأر^{٣٥}
غاية الإفصاح لمح وكنى
فلُغى الخلوة رمز يعبر^{٣٦}

^{٣٣} نظيري النيسابوري شاعر فارسي كبير، وجم هو جمشيد أحد ملوك الأساطير الفارسية. م.
^{٣٤} أحسبه يشير إلى مجنون ليلي وهيامه في البید، ويعني أن هذا الهيام في فضاء الطبيعة لا بد أن ينتهي

إلى صلاح الجماعات في القرى. م.

^{٣٥} الذأر: الشرّة وجِدّة الخُلُق. م.

^{٣٦} يعبر كتعبير الرؤيا. م.

تضيق بدار أصنام
ولا ترضى بمحارب
ولكن نحو مشتاق
تسير بشوق أصحاب
فأقدم واتخذ مغنا
ك في أرواح أحباب
وكيف وأنت رب الدا
ر تدخل خطو مرتاب؟
تغير على نوي التسبيح
ح تحمل كل أسلاب
وتطرق أهل زنّار
بليل فعل نهاب
وطورًا جحفل لجب
لسفك دماء أصحاب
وطورًا في جماعات
بكاسات وأكواب
وتأتي باللهيب إلى
كليم غير هيّاب^{٣٧}
وتأتي كالفرش إلى
يتيم شمعه كابي^{٣٨}
فيا إقبال خذ كاسًا
بخمر «الذات» لهاب
سقاك الغرب من كاس
لنفسك منك سلاب

^{٣٧} إشارة إلى النار التي لاحت لموسى الكليم. م.

^{٣٨} إشارة إلى اصطفاء الرسول صلوات الله عليه. م.

لذعات حان العُجم ليست
كُفَاءً ناري الحاميَّة
ذا أحمد العربي نظـ
رته تحيط جهاتيَّة
ما حيلتي والعقل في
عُقْدٍ له متواليَّة
نظرات عينك، فانظرن
حلت طلسم مجازيَّة
حيل العقول تفوقها
خفقات قلبي الداميَّة
فاهجر كنيس تفلسف
لحريم ناري الحاميَّة

أنت كالمرأة تفنى في جمال الآخرين^{٣٩}
فاغسلن قلباً وعيناً من خيال الآخرين
من نواح الطير في الأحرام فاقبس واحرقن^{٤٠}
ذلك العش الذي شدت بمال الآخرين
وتعلم جاهداً خفق جناحيك وطِرْ
أنت لا تستطيع طيراً بحبال الآخرين
أنا حر وغيور مسرف في غيرتي
ممكن قتلي بكاس من زلال الآخرين

^{٣٩} وهذه قطعة أخرى بُنِيَتْ على الرَّمَل المثلن، والرمل في الشعر العربي لا يزيد على ست تفعيلات،
والقافية فيها مردوفة بكلمة الآخرين، والروي اللام التي قبل الرديف. م.

^{٤٠} الأحرام: جمع حرم. م.

پیام مشرق

إیه یا أقرب من روعي ولا أبصره
عندنا هجرک أحدى من وصال الآخرين

عندليب الربيع جُنَّ غناء
وعروس الشقيق تزهى بهاء
لا مغنٌ ولا مزاهر فيه
ذاك لحن من المغيب جاء
محرم السر من يسدد ضربًا
في وتار الحياة أيان شاء^{٤١}
من وراء الستور أنبئت سرًّا
لست أفشي فالدهر لعبًا أساء^{٤٢}
لا تعنّف وخذ سبيل ودا
قدّر الله في الحياة التقاء
أين في دارة التراب مقام؟
كل شيء كالرمل يمضي هباء
زهرة من رياض كشمير جسمي
وبأرض الحجاز قلبي أضاء
وأغانيّ واللحون نمتها
أرض شيراز حبّ ذاك انتماء

نحن ترب، وكالنجوم سفارًا
من خضم الزرقاء نبغي قرارًا

^{٤١} الوتار: جمع وتر. م.

^{٤٢} إشارة إلى الألعاب من وراء الستر كالذي يسمى خيال الظل. م.

نحن من شعلة الحياة جميعاً
لذة «الذات» فرقّتنا شراراً^{٤٢}
قل لأهل السماء: إن تراباً
نال بالعقل في السماء مطاراً
نحن في العشق زهرة في نسيم
وبكّدت الحياة نقدح ناراً
نحن في المرج نرجس ناظرات
كلنا أعين فألق الستاراً

ليردّ العرب دمعياً دامياً
روضة تنبت ورداً وشقيقاً
وليرد العجم أنفاسي وقد
صوّحت جناتهم، روضاً أنيقاً
من حياة وخلود كدحنا
يا ترابي! فلتكن قلباً خفوقاً
صحب الله فؤادي هائماً
سار لا يرضى مقاماً أو طريقاً
صور اليأس على آفاقنا
عقلنا اليأس فاحذره رفيقاً
وبعود قطعت أوتاره
قد حبا قلباً إلى اللحن مشوقاً
أنت نشء وكلامي شعل
علّ شدوي مضمم فيك حريقاً
ليس في قلبي إلا أن أرى
قطرة فيك غدت بحرّاً عميقاً

^{٤٢} يعني لذة الاستقلال والوحدة كما يرى الشاعر في فلسفة «الذات». م.

پیام مشرق

لا عری الروح هدوء ولتكن
بحیة الكد والكدح خلیقا

لا التاج یزهو علیه
ولا سنا الزینات
فقیر حیك لكن
من المملوك الأیة
فی الشیب ماتت قلوب
وفتیة فی سبات
فما لصدر نصیب
فی الفجر من آهات
لا تقعدن عن طلاب
فی واسع الفلوات
فما بعصرک هذا
هادٍ إلى الطرقات
غفلت عن سر وقت
أضعته فی شتات
وقت عده حساب
بالشهر والسنوات
هذا الرباط قديم
ما فیہ عیش مواتي
غفلت عن سر عیش
وعن جهاد الحیة
ماذا یخط من الذنـ
ب کاتبًا الهفوات
دنیاک ما قد أصبنا
فیها سوى نظرات

إقبالاً الحر أمسك
بذيله في ثبات
فما يرى في رباط
من بائعي الخرقات

عشقي الجريء صدره سكير
وحكمتي عن شرر تخور
إن يكمل الهيام صار دلاً
قيس بـ«ليلي» عندنا شهير
إليك جئت في سجود وجد
سيماه فوق جبهتي تفور
هب سيف «لا» لكافري وأبصر
«إلا» ي كيف في الدنى تثور^{٤٤}
لا بد من دور يعيد أمسي
في جلوات من غدي يسير
نورك فيه للدنى نصيب
«سينا» ي كيف فاتها تنوير
أحدت الرحمن في حجاب
وفي حماك منطقي جهير
أيا رسول الله إن ربي
محجب وأنت لي ظهور

^{٤٤} يشير إلى النفي والإثبات في لا إله إلا الله؛ يعني هب لي أنا الكافر توحيداً وانظر فعلي. م.

أسفي عليك نحتاً أصناماً آخر
عَوْدًا ولم تبحث بقلبك عن أثر^{٤٥}
أسفي عليك صهرت في نار الفرنـ
ج ومن لحاظ العين روحك قد قطر^{٤٦}
أسفي عليك فما وُزِنَتْ بنظرة
في حلة فيها التراب له قدر
أسفي عليك قرأت أسفار العقو
ل وما فهمت حديث وجد يُستطر
أسفي عليك تطوف من دير إلى
حرَم وفي معنك لم تُجدِ النظر

^{٤٥} هذه الأبيات مردوفة في الأصل تكرر في أواخرها الكلمة التي ترجمتها «أسفي عليك» وقد كررتها في أول كل بيت. م.

^{٤٦} ذاب في نار الفرنج وأفنى نفسه بالنظر إليهم وتقليدهم. م.

نقش الإفرنج

أبلغني يا ريح عني عالم الإفرنج جهراً:
أنما العقل أسير زاده التحليق أسراً
يتحدى العشق برقاً منه هذا العقل فرأ
سحر العقل، وكان الـ عشق بالأكباد أدرى
تبصر الأعين لوناً حينما تبصر زهراً
ووراء اللون معنى هو أجلى منه يُدرى
ما عجبنا أن إعجا ز مسيح نلتَ خُبراً¹
قد عجبنا لمريض داؤه عندك أشرى²
تجمع العلم وتلقى القـ
لب لا ترغب فيه
آه ذا نقد ثمين
ضاع في كف سفيه
إنما الحكمة أمر ليس فيه من نهاية
ليس في كتابها للـ حب والعشق بداية³

¹ الخطاب لعالم الإفرنج.

² شرى الداء إذا اشتد، وأشرى للتفضيل؛ يعني أنه كاليسوع في المعجزات، ولكنه لا يشفي.

³ أي ليس في كتابها ألم العشق وحزه كما يبرى القلم. م.

قطعت سبل قلوب یقظات بالعمایة
ذات طرف ذی کلام هو فی الفتنة آية
ودلال لا ترى فی ه إلى القلب سرایة
لیس فیها لذة الـ وخزة من غمز الرعایة
طوت البید ولم تظ ففر بظبی فی النهایة
طاقت البستان لم تب لـخ من الأزهار غایة

فهلـموا نسأل العـشـ

ق سداً ورساداً

واقصدوا العـشـق سـجوداً

وابلـغوا منه مراداً

سلك العقل طریقاً ذا شعاب حین سارا
ملأ العالم هرَجاً وأصار الماء ناراً
فی یدیه کـمـیاء ردت الرمل نُصاراً
لم یضع إکسیر حب فی قلوب أو أنارا
سحره قد خال فینا فقلبناه جهارا
ذاک قـطـاع طریق قطع السبل نهـارا
فنه قد هـدَم الـ إفرنج والنقع أثارا
ثم فی مـقـلة عیسی ذر من ذاک غبارا

کم زرعنا من شرار

وحصدنا من لهیب

کم عقدنا وحللنا

عقدًا فوق القلوب

أین من خفق الشواہـیـ ن جناح العندلیب
أین من یلـقـط من حَبِّ علی الأرض تریب
من فـتی یلـقـط عنقـو د الثریا لا یخب

أين من يسري بروض كنسيم في هبوب
من بصير في ضمير الـ زهر للسر يصيب
أين فوق الأرض ظن سار أو شك مريب
من طموح جاوز الأفـ سلاك للمسرى الرحيب

حبذا عقل فسيح

قد أحاط العالمين

نور أملاك ونار الـ

أنس فيه دون مين

نحن من خلوة عشق قد برزنا بالسجايـا
فجعلنا موطئ الأفـ دام في الأرض مرايا
فانظرن همتنا كيـ ف لعبنا بالعطايا
قد أضعنا الكون جهراً حين حزنه خفاياً^٤
قد نزلنا شط نهر نبصر الموج سرايا
تبصر الأعين سطرًا من غدو وعشايا
قلبنا بيَّت هذا الـ دير لا يبغي سبايا^٥
فرمى النار برطب ويبس في البرايا

شعلة كُنَّا جميعاً

وانتثرنا كالشرر

أهل شوق وحنين

ورجاء ونظر

أصبح العشق غَوِيًّا^٦ قاطعاً كل وكاء
فتنة للناس فيها خَفَق حوت في العراء

^٤ يعني استولينا عليه بقوة أرواحنا وبذلته أيدينا احتقاراً. م.

^٥ في الأصل: الدير القديم وهو كناية عن الدنيا. م.

^٦ أحسب الشاعر يقصد في هذه الأبيات إلى أن العشق وهو الوجدان السليم قد صار هوى وطمعاً ففعل ما فعل. م.

آثر الحرب على الخف ض وعبّی للقاء
لم يُروّ السيف إلا من صدور الأوفياء
قطع الطرق وسمّی الـ قطع حفظ الأمناء
أخذ الدف وغنّی راقصًا دون حياء
رافعًا في الكف كاسًا من دماء الأصفياء

حان أن نحدث نهجًا

ونجدَّ النظرا

فاغسلن لوح فؤاد

وأجدَّ الأسطرا

لحن إسكندر ولّی وتقضى لحن دارًا
وأتى فرهاد يبغی ملك برويز جهارًا
يوسف فارق سجنًا وعزيز الملك صارًا
وخرافات زليخا ورُقاهها تتوارى
كل سرٌّ كان يخفی غشي الشوق نهارًا
ومضى حفل الندامی وبريق القول بارًا

فافتح العين وأمعنْ

لترى ما لا ترى

إنما تبني الحياة الـ

ييوم كونًا آخرًا

أنا في الأرض بصير عارف سر الحياة
أبصر الذرات طرًّا كنجوم ناظرات
وأرى الحبة تحت الـ تترب من قبل نبات
ذات أصل وفروع وثمار يانعات
وأرى الأطواد ريشًا في رياح قلقات
وأرى الريش ثباتًا كجبال راسخات
وانقلاب ليس يحويـ ه ضمير الكائنات
قد أراه لست أدري كيف في العين يواتي

حبَّذا المبصر جهراً
فارساً في ذا القَتَر
ويرى جوهر لحن
في اهتزاز بالوتر

بالحياة النهر جارٍ	وسيجري في مضاء
عاتق الراح فتىً	وسيبقى في فُتاء
كل أهل لوجود	سوف يحظى بالضياء
وجود غير أهل	سوف يحويه الفناء
إنما العشق عيون	ترقب الحسن ظماء ^٧
ومنى الحسن ظهور	وسيبدو في جلاء
إن هذي الأرض فيها	لي دموع من دماء
سيرى الدمع عقيقاً	في حشاها ذا بهاء

«في ظلام الليل جاءت
ني من الصبح بشاره
أطفئ الشمع ولاحت
لي من الشمس أماره»

جمعية الأمم

بؤساء الأرض راموا سننا	لتزول الحرب في هذي العصور
وسمعنا أن نبأشي قبور	شركة شادوا لتقسيم القبور

^٧ هذا البيت ضمن في شعر إقبال وهو الغالب.

شوبن هاور ونیتشا^۸

طار من عشه یسیر بروض فأصابته شوكة من زهور
لعن الروض والزمان ونادی بثبور لنفسه والطيور
ورأى وسمة الشقائق جورًا وطلسم البرعوم خدع خبير^۹
قال ذي الدار شيدت باعوجاج كل صبح بها إلى دیجور
ناح حتى تقاطرت نغمات من دما، بدمع عین غزیر
وشجا الهدهد النواح فوافی ينزع الشوك من جناح الکسیر
قال: أخرج من کل خسرك ربًا مزق الورد صدره للعبیر

واجعل الجرح بلسمًا فسترضی
وألّف الشوك تغد کلك روضًا

الفلسفة والسیاسة

لا تقيسوا فلسفيًا بارعًا بسیاسي، وبالعَدل احكموا
ذاك عین جهرت^{۱۰} في شمسها وجمود عین ذا لا ترحم
ذاك في الحق دلیل واهن ذا لدى الباطل قول محکم

نیتشا

ثار من ضعف الأناسي قلبه فبری الخلق المکمل لُبه
فتنة في الغرب من ذي جنون کان في دار الزجاجة ضربه

^۸ فیلسوفان آلمانیان معروفان: الأول متشائم والثاني يُعجب بالقوة واحتمال الشدائد في هذه الحياة. م.

^۹ في الشقيقة سواد يجعلها الشعراء وسمة من الحرقه، وطلسم البرعوم يريد به انطباقه وانبهاهه كالطلسم. م.

^{۱۰} جهرت العين لم تبصر في الشمس. م.

بايرن^{١١}

قطرات رشحت من كاسه
 ذو رسالات بها حرُّ الجوى
 ضاق بالإفرنج بردًا طبعه
 وخیال كم بنى من ملعب
 جلوات للشباب ائتلفت
 طائر فارق عشًا ورأى
 شعلة تنمو كورد وشقيق
 فرسول الحب منها في حريق
 فهو في الأوطان في غم وضيق
 فيه للهور مراح وبريق
 فهو في الغشية منها لا يفیق
 خلق الشباك^{١٢} أولى بالحلوق

جلال وهيگل^{١٣}

ليلة بُتُّ أعاني حلَّها
 ذاك من أبرز في إبداعه
 يخجل العالم من أفكاره
 سرت في بحر له فالتطمت
 نفث النوم بعيني سحره
 وأحدَّ الشوق طرفي فإذا
 إنه الشمس تجلَّت في الضحى
 نوره في مظلم الأفق سرى
 تنبت الأفكار في أفاظه
 قال: قم يا أيها النائم! هل
 مشكلات لحكيم الألمان
 أبدى الكون من ستر الآني^{١٤}
 شاكيًا ضيق زمان ومكان
 سفن العقل بموج الطوفان
 فحماني فكر باقٍ أو فاني
 نور وجه لحكيم رحماني
 كل أفق بسناها نوراني
 كمنار في طريق الركبان
 مثل ما ينمو شقيق النعمان
 تمخر السفن سراب القيعان
 «في طريق العشق بالعقل يسار؟»

^{١١} الشاعر الإنكليزي المعروف.

^{١٢} بايرن فارق وطنه إلى بلاد اليونان لنصرة الثائرين بها ومات هناك والشباك الشبكة.

^{١٣} جلال الدين الرومي، وهيگل الفيلسوف الألماني.

^{١٤} يريد أنه أدرك من الشيء الموقَّت حقائق أبدية، والآني نسبة إلى الآن. م.

بسراج تبتغي شمس النهار»^{١٥}

بتوفي (شاعر مجري قُتل شابا في الدفاع عن وطنه، ولم يُعثر على بدنه لتبقى له
ذكرى أرضية)

لعرّوس الرياض غنيت حينًا	زدت قلبًا جوًى وأسلّيت قلبًا
وخضبت الشقيق من دمك المسـ	فوك وجدًا وجل ذلك خضبًا
كم بآه الصباح في المرح يسري	في صدور الأكمام فتحت قلبًا
نغمات من الجوى ذبت فيها	في «مزار» القريض تدفن حبًا
وإلى الترب لم تعد بممات	ذاك حق فليس أصلك تربًا

جلال وگوته^{١٦}

شاعر الألمان في روض أرم ^{١٧}	فاز بالصحة من شيخ العجم
شاعر يشبه ذا العالي الجنب	ما نبياً كان لكن ذو كتاب ^{١٨}
قصّ للعارف بالسر القديم	ما وعى إبليس والشيخ الحكيم
فأجاب الشيخ: يا رب العلاء	أنت صياد ولكن في السماء
قد خلا فكرك في القلب السليم	فأجدّ الروح في الكون القديم
فرأيت الدُرّ في قاع البحار	ودبيب الروح من خلف الستار

^{١٥} البيت الأخير للرومي.

^{١٦} شاعر الألمان گوته صاحب القصة المعروفة فوست، وفي هذه القصة يبين الشاعر درجات تطور الإنسان في إطار من رواية قديمة عن العهد الذي كان بين الحكيم فوست والشيطان، وقد بلغ فيها الفن درجة لا يدركها الخيال.

^{١٧} يقصد الشاعر بأرم: الجنة. م.

^{١٨} شيخ العجم: جلال الدين الرومي، والبيت الثاني من قول الجامي عن الرومي: ماذا أقول في هذا العالي الجنب، لم يكن «نبياً» ولكن له كتاب. م.

ليس كلُّ قد تجلَّى العشق له ليس كلُّ أهل هذي المنزلة
«قد تجلَّى لسعيد المعى مكر إبليس وعشق الأدمي»^{١٩}

رسالة برگسون^{٢٠}

إذا ما شئت أن تحظى بسر تبوح به الحياة لمستجيب
فلا تبعد بنفسك عن لظاها كما جفل الشرار عن اللهيب
ولا تصحب سوى نظر عريف ولا تمرر بأرضك كالغريب
وما صورته وهم فأعدد لعقل شبَّ في أدب القلوب

حانة الفرنج^{٢١}

عهد حانات فرنج ذكرني يا خليلي
ربَّت الخمرة فيها عين خمار جميل
نظرة الساقى رسالا ت لشراب الشمول
عقلها الخاطر غاز عشقها كل سبيل
جوها ما أشعلته
نار آهات الحيارى
ليس فيها من خليع
فيه ترنيح السكارى

^{١٩} البيت الأخير لجلال الدين الرومي. م.

^{٢٠} فيلسوف فرنسي.

^{٢١} يقصد الشاعر في هذه الأبيات إلى ما يعوز الإفرنج من الإيمان وحرارة الوجدان. م.

حکماء: ۲۲

لوك ۲۳

فارغ الكأس أتى الروض شقيق^{۲۴} يملأ الأكواب من شمس الضحى

كنت^{۲۵}

فطرة ضاءت شراباً ولها نجم كاس من حريم الأزل

برگسون

ما له من أزل خمر وكاس ناره من حرقة القلب الشقيق

شعراء:

بروننگ^{۲۶}

ليس في كاس الحياة البرد نارُ فبماء الخضر^{۲۷} كاسي أملأ

^{۲۲} صور الشاعر كلاً من هؤلاء الفلاسفة ببيت، وهذه الكنايات لا يدركها إدراكاً تاماً إلا من عرف هؤلاء الفلاسفة وعرف خصائص كل منهم. م.

^{۲۳} فيلسوف إنكليزي.

^{۲۴} شقائق النعمان. م.

^{۲۵} فيلسوف ألماني.

^{۲۶} شاعر إنكليزي.

^{۲۷} ماء الخضر عين الحياة التي شرب منها الخضر فخلد وحرّمها إسكندر. م.

بايرن

منة للخضر لا تلهب صدري فبماء القلب كاسي أملأ

غالب^{٢٨}

لأزيد الخمر والصدر لهيباً أصهر الدن وكأسي أملأ

جلال الدين الرومي

أين مزج من سنا جوهرها من عروق الكرم كاسي أملأ

حانات الفرنج

أمس في حانة الفرنجة وهنا	راعني قول ماجن ذي خلاعة
قال ليست كنيسة تغشاها	في دُمي للغناء تبغي سماعه
إنها حانة الفرنج وفيها	كل ما ذمه البرية طاعة
قد وزناً الأعمال فيها بوزن	غير ما حسن الأنام اصطناعه
لا تزن وزن أمة ذات دين	رث ميزانهم فحاذر متاعه
كل قبح يزيد جاهك حسن	كل حسن يضر فهو شناعه
إن تفكرت فالحياة رياء	وبها الصدق قولة خداعة
إنما الصدق والوفاء حجاب	يحرّم الساعي الغرير ارتفاعه
شيخنا قال: مؤهن كل صفر	بنضار وزيّفن كل ساعة
ذاك سر الحياة لا تُفشيته	تربحن في يدك كل بضاعة

^{٢٨} أسد الله غالب شاعر بالفارسية والأردية توفي سنة ١٨٦٨. وهذا البيت لغالب نفسه. م.

دقائق

بذراتنا ثورة تهدر بأنفاسنا محشر مضمّر
لقد أفصح الخضر في الظلمات على حين صاحبه اسكندر:
عسير على الناس فهم الممات وفهم الحياة لهم أعسر

* * *

حبة الدر تعرف البحر لكن أي علم لها بدور الرحيّ؟

* * *

يصرُّ اليراع لإعواز لب^١ فليس لمروء كحل صرير

* * *

طففت بالببيت حاملاً أصنامي وأمام الأصنام «هو» قد جأرت^٢
وفؤادي يسير جلف طلاب في طريق كشعرة قد مررت

* * *

يقول ورد روض: عيش الربيع أحلى

^١ يعني لأنه فارغ الجوف.

^٢ صاح بلفظ «هو» يريد الله تعالى.

پیام مشرق

وصبح مرج عندي من الجميع أحلى
من قبل جور كف لزينة تقطفني
موت بحضن نصر من الفروع أحلى^٣

* * *

يا صاحبي ذاك قول على الحياة دليل
النوم موت خفيف والموت نوم ثقيل

* * *

إن تكن للعفو لست بأهل فألى الأعداء فاقصد بحقدك
لا تُقم في الصدر مصنع حقد لا تَصُبَّ الخلَّ في كاس شُهدك
دع التسال عن طبع دقيق يشق الشعر في الليل البهيم
لشاعرنا زجاجات رقاق تحطمهن أنفاس النسيم
أيبغي وصف حرب في حياة «حباب ضاع في لج عظيم؟»

* * *

امض في الدنيا كنهر في جبال واعرف الأغوار فيها والنجودا
أو مثال السيل فاجرف كل شيء لا تباليه هبوطاً أو صعوداً

* * *

قطوف الورد! لا تجزع لشوك كذاك الشوك من نفس الربيع

* * *

لا تبتغ الخضاب والتلوينا ليس الشباب سرقة السنيينا

* * *

رأيت العشق يأبى كل وغد كميت الطير تأباه الصقور

* * *

^٣ وهذا مثال آخر من زيادة التفعيلات على المعهود في العربية ومن القافية المردوفة.

دقائق

يبور الشعر في الأسواق نقدًا فلا خبز بفضة ياسمين

اللمعات

بدأت هذه المنظومة حينما قرأت منظومتَي إقبال «أسرار خودي» و«رموز بي خودي» ونشرت الأبيات الأولى منها، ثم شغلت عن إتمامها فلبثت أعاود النظم فيها حيناً بعد حين.

فلما أشرفت ترجمة پیام مشرق على النهاية، عزمت على إتمام المنظومة فتمّت بحمد الله.

وهي مهداة إلى الشاعر العظيم إقبال اعترافاً بفضله.

أيها الليل، إليك المفزع	كم حنت منك علينا أضلّع؟
كم خفينا في غيابات الدجى	وملأنا الليل همًّا وشجًّا؟
كم ألفت الليل أمًّا حانيّة	وكرهت النجم عينًا رانيّة؟
كم ألفت الليل وحشًّا راقبًا	من شعاع الصبح سهمًا صائبًا
كم بثثت الليل سرًّا كتمًا	فوعاه الليل عني ألمًا؟
كانت الظلماء لوحًا للألم	خطت الآهات فيه كالقلم!
كان لي الليل مدادًا فنقذ	وطغى قلبي بمد بعد مد
جاشت الظلماء موجًا بعد موج	وغزالي الوجد فوجًا بعد فوج
فنيث هذي، وهذا زاخر	وانجلت هذي، وهذا غامر
خلتني في الليل جمراً سعرا	ونجوم الليل منه شررا

إِرة قد وقدت في أضلعي^١ وسحاب هاتل من أدمعي؟

كنت سطرًا لم يفسره أحد	خطه في غيبه الله الصمّد
في ضميري كل معنى منبهم	حرت في الإعراب عنه بالكلم
قد ثوى العالم في قلبي وما	خط شيء فيه إلا الحرف «ما» ^٢
جل قلبي أن أراه جام جَمّ ^٣	صور الأقطار فيه تنتظم
إنما الأقطار في قلبي العميد	أحرف أوحى إلى معنى بعيد
رب معنى في ضمير يكتّم	ليس في الناس عليه محرم ^٤
وقلوب رمسها هذي الصدور	أتراني مُسمِعًا من في القبور ^٥
أنا في الناس فصيح أعجم	ناطق فيهم، كأني أبكم!
صمّت الأذان عن هذا البيان	ضاع في ضوضائهم هذا الأذان!
كيف يجدي القوم هذا النغم	وعلى الأذان ران الصمم؟
كيف يجدي القدر في هذا الحجر؟	قلبه رخو خليّ من شرر
إنّ حَفَقَ القلب قدح مجهد	بعضه يورى، وبعض يصلد
كيف يجدي النفخ في هذا الرماد	طفئ الجمر ولم تور الزناد!

يخرق الليل شعاع يخفق	ثم يلتف عليه الغسق
كمنار البحر يخفى ويلوح	فيه بين الغيب والومض وضوح
أو يراع الليل يخفى وينير	فهو سطر من غياب وحضور ^٦

^١ الإرة: جبل النار.

^٢ يعني: لم يكن العالم في قلبه إلا نفثًا.

^٣ جام جم أو كاس جمشيد، في خرافات الفرس: كاس كانت ترى فيها الأقاليم السبعة.

^٤ المحرم هنا الأمين على السر، كما يؤتمن المحرم من الأقارب على الحرمات.

^٥ إشارة إلى الآية: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّنْ فِي الْقُبُورِ﴾.

^٦ هذا من قول إقبال: أي كرمك شبتاب سراپاي تو نوراست پرواز تويك سلسله غيب وحضور ست (يا يراعة الليل كلك نور، وطيرانك سلسلة من الغيبة والحضور).

تارة يبدو طريقًا لحبا
أو بيانًا من بياض وسواد
كل لون فيه حرف مفصح
ووراه تارة خطًا أحْمَ
فهو سطر من ظلام أرقط
كل لون فيه حرف أعجم
قامت الأنجم فيه نصبا
كبياض الطرس يعلوه المداد
ألّفت منه سطور وضّح
وكأن الضوء تفصيل الظلّم
أعجمت معناه تلك النقط
وحوى الأحرف سطر مظلم^٧

* * *

يا لبيني أوقدي، طال المدى
أوقدي يا لُبْنُ قد حار الدليل
أرفعي النار وأذكي جمرها
شرّدي هذا الظلام الجاثما
حبّذا النار بليل توقد
حبّذا عندك هذا النزل
ما لذا المنزل قد سار الفريق
قد ترحّلنا من الفيح العميق
رَنِّ في آفاقنا هذا النداء
قد غنينا عن مبيت ومقيل
وعن الرغبة والخوف سوى
نحن لا نرضى بنار الغسق
نحن لا نرضى بنجم الصبح لاح
أوقدي عَلَّ على النار هدى^٨
أوقدي النار لأبناء السبيل
عَلَّ هذا الركب يعيشو شطرها
أرشدني هذا الفراش الهائما
حبّذا المؤمنس هذا الموقد؟
لو حوانا في سفار منزل
إنما النيران أعلام الطريق
لا تبالي بقريب أو سحيق
فأَمَمْنَا البيت يحدونا الرجاء^٩
وعن الأمواه والظل الظليل
خلع النعلان^{١٠} في وادي طوى
نحن لا نرضى بنور الشفق
لا ولا نرضى تباشير الصباح

^٧ حاصل المعنى في هذه الأبيات: أن النفس تارة تدرك إداركًا واضحًا، وتارة تغم عليها الحقائق.

^٨ إشارة إلى الآية في قصة موسى: ﴿لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾.

^٩ إشارة إلى الآية: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾.

^{١٠} النعلان هنا كناية عن الرغبة والخوف، والإشارة إلى الآية في قصة موسى: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ^ط إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾.

نحن لا نرضى نجوًّا لامعةً
قد رحلنا بالجوِّ والحرِّق
أين منَّا طائرات سبَّق
نحن ركب في جواه توضع
كل حَرٍّ ضاق عنه الموطن
كل طيار على متن الفكر
طائر منه يغار الملك
بارق في اللوح لا ينطفئ
زَوْدِينَا بهُيام ووجيب
إنما نبغي شموًّا طالعةً
وغنينا عن رسم الأيُنُق
جمع الغرب لها والمشرق
لم يسعه في جواه موضع
وانطوى دون مناه الزمن
وعلى متن هيام لا يقر
طائر من تحته ذا الفلك
كل غاياتٍ لديه مبدأ
زودي يا لُبْن من هذا اللهب

جال في الظلماء نور من نغم
أشعاع فيه صوت صائح
أذن الـركب لهذا المنشد
سال في القلب مسيل المطر
أو خـرير الماء من نبع زلال
رنَّ في نفسي رنين الجرس
طوت البـيـداء عنه السابـلةُ
سبق القلبُ إليه الأذنا
دار قلبي شطر هذا المطرب
«غنني يا منيتي لحن النشور
عدت يا عيدي إلينا مرحبًا
مرَّقت منه دياجير الظلم
أم كلام منه نور لائح؟
أطرب الناشد صوت المنشد^{١١}
ينبت الروح بسهب مقفر
بشَّر الغارق في بحر الرمال
صاح في أذني فقيد مبلس
وهـداه الصوت شطر القافـلةُ
كـبلالٍ لـصلاةٍ أذنا
دورة الإبرة شطر القطب
ابركي يا ناقتي تم السرور
نعم ما رَوَّحت يا ريح الصبا»^{١٢}

حبَّذا الصوت فمن هذا البشير؟
ومَن الهاتف بالقلب الكسير؟

^{١١} المنشد في الشطر الأول: منشد الشعر، وفي الثاني: الذي يدل على الضالة، والناشد: من ينشدها.

^{١٢} جاء هذان البيتان بألفاظهما العربية في مثنوي جلال الدين.

ومن المسعد في هذي الهموم؟
ومن الهابط في نور السما
ومن الهادي إلى أرض الحبيب
ومن السائق شطر الحرم
ومن القارئ في بيت الصنم
ومن الحُرُّ الذي قد حطما
ومن الآبي على كل القيود
ومن الباعث في ميت الأمم
لاح كالغرة في هذا السواد
جرف الناس أتى مزبد
وطغى اللج عليه والتطم
عارض الموج على أغماره
سبح اللج وبالشط استقر
يجرف التيار جسمًا جامدًا
إنَّ عزم الحر بحر مزبد
هذه الأقدار في تسيارها
ومن الشاعر يذكي القافية
تقشعرُ الأرض من أوزانه
وكأنَّ الدهر صوت كتبًا
هو بالأشعار بحر فائض
حدثته الأرض عن أخبارها
هو بالأمس خبير بغد
كشف الله عن الغيب له
عرف الشرق وراة المغرب

ومن البارق في هذي الغيوم؟
هاديًا في الأرض جيلًا مظلماً؟
يعرف النهج وقد حار اللبيب؟
وإلى الأصنام سير الأمم؟
سورة الإخلاص في هذا النغم؟
من قيود الأسر هذا الأدهما؟
ومن القاطع أغلال العبيد؟
ثورة العزة من هذي الهمم؟
بَصَّ كالجمرة في هذا الرماد
ضل فيه المقتدي والمرشد
فرسًا كالصخر في هذا الخضم
وطوى اللج على تياره
داعيًا والناس غرقى في النهر
تقذف اللجة قلبًا خامدًا
جائش في الدهر لا يتَّدد
همم الأحرار في أسفارها^{١٣}
فهي نور وهي نار حامية؟
ويهيم النجم من ألحانه
قد حكاها الشعر لحناً مطرباً^{١٤}
وهو للأزمان قلب نابض
وحبته الزهر من أسرارها
وهو اليوم نجى الأبد
فلسان الغيب يُملّي قوله
فانجلي السر له ما كُذِّبًا

^{١٣} هذه: مبتدأ، وهمم: خبر.

^{١٤} يعني أن الدهر أمام الشاعر كعلامات الموسيقى، والشعر قراءة هذه العلامات.

فرأى العلم سبيلاً للردى إذ رأى القلب خلياً من هدى
صوت «إقبال» على شط المزار أسمع اليقظان في هذي الديار

* * *

أيها الداعي إلى سر «خودي»
فطرة الله التي أودعها
إنها سر الحياة الخالدة
إنها التيار مثل الكهرباء
إنما العيش جهاد لا يقر
من يضىء ذا السر في أعماقه
وتعالى عن حدود الأزمنة
شعل في قوله تضطرم
مطلع في اليأس صبح الأمل
أرأيت الغيث في أرض موات
همم الأحرار تحيي الرمما
لا يصد الحر عمًا يأمل
هو بالله العلي اتصلاً
من يضىء في قلبه إيمانه
فهو بالله علي وقوي
جاهد والله في تيسيره
قائم بالحق بين البشر
يمسك الدنيا ولا تمسكه
وترى الدنيا انطوت في كسبه
إنه القانون بالله سرى
يسع الناس جميعاً هممه
جاهد في الخير لا يتئد
وفقير وغناه لا يحد
هو بالله وفي الله غني

ليست أنا بهداها نهتدي
كل نفس خاب من ضيعتها
دونها كل حياة هامدة
إن يعطل لمحة كان الفناء
وركود الحي موت مستمر
ضاققت الأفلاك عن آفاقه
وتجافى عن قيود الأمكنة
وطما في القلب بحر خضرم
نافخ في الموت روح العمل
منبتاً فيها أفانين النبات
نفخة الأبرار تحيي الأمم
أو يحد البر فيما يفعل
جل ربي عن حدود وعلا
وينز في سبله وجدانه
وهو بالله غني وولي
تحسب الأقدار في تقديره
ما له في باطل من وطر
يملك الأرض ولا تملكه
ليس منها ذرة في قلبه
عادلاً في حكمه بين الورى
في سبيل الله ماض عزمه
عزمه في صدره يتقد
فقره استغناؤه عن كل يد
ضاق عن هذا الغنى كل ثري

صغار الهمم

إن في الناس قلوبًا جامدةً
همُّها ما يبتغيه الجسدُ
حددت آرائها آفاقها
لا تبالي حين تبغي أربًا
إنما قانونها أهواؤها
وترى أهواءها تغلبها
وإلى الأرض تراها مخلدةً
إنما آفاقها هذا البدن
إنما أحيائها كالرمم
جذوة الإقدام فيها خامدةٌ
كل ما تهوى طعام ودُدُ
فحكّت في ضيقها أخلاقها
عمر الكون به أم حربًا
سُخِّرَتْ في نفعها آراؤها
كل حين في هوى يجذبها
لا ترى نحو المعالي مصعدةً
إنما مبركها هذا العطن
خامدات العزم موتى الهمم

العالم معبد

إنما العالم طُراً معبد
كل من أدلى بقول طيبٍ
كل من أحسن يوماً عملاً
كل من في أرضه قد زرعاً
كل من يغرس مخضراً الشجر
كل من ينبط بئراً في السبيل
كل من يبني بناءً حسناً
كل من أحدث علماً للبشر
كل من أحدث فكراً محكماً
كل من جدَّ وإن لم يجد
كل من أثمرَ فيها أثراً
كل من في دهره قد أجملاً
كلهم لله نعم العابدُ
فاصطنع للخير فكراً ويداً
كل من أحسن، فيه يعبد
ينبت الخير كغيث صيبٍ
كل من أحيأ مواتاً هملاً
ليُقيت الناس والعجم معاً
فيه للإنسان ظل وثمر
تنقع الظمآن من حرّ الغليل
كل من في صنعه قد اتقناً
ينفع الناس ولم يقصد لشر
يبتغي للناس خيراً عمماً
لم يضع وقتاً بلهو ود
خالداً للخير ما بين الورى
فكرة أو قولة أو عملاً
كلهم للخير نعم القاصدُ
ولساناً وابغ في الخير يدأ

لا رهبانية في الإسلام

ليس منا من ثوى في صومعة
 ضاق نفساً عن مجال وسعاً
 ليس شيئاً أن ترى معتزلاً
 إنما العابد من خاض الحياة
 آخذاً بالعدل ما عنه حول
 إنه بالحق موصولٌ ومن
 ثورة مضمرة في حلمه
 أرايت الصقر في متن الرياح
 طائراً في الجو يسمو عازماً
 يأكل الجوع ولا يرضى الجيف
 فإذا الجد رماه في الشُّرك
 ليس يحوي الحر يوماً شبك
 يا فتى هذا الجهاد الأكبر
 قلّ في الناس عليه صابرٌ
 يا أسير الوهم أقدم لا تبَلْ

يحبس الأعمال والفكر معه
 فثوى في ضيقه قد خنعاً
 عابداً تخشى البرايا وجلّاً
 موضحاً فيه سبيلاً للنجاة
 ذاكرًا مولاه في كل عمل
 يتصل بالحق لا يخش الفتن
 أن يفكر ظالم في ظلمه
 يطلب الرزق بعزم وجناح
 لا يرى حول الدنيا حائماً
 لو يراه الجوع يوماً ما أسفّ
 لم يطق صبراً عليه فهلك
 فأسار الحر فيه مهلك
 عزمات الحر فيه تخبر
 ليس إلا الحر فيه ظافرٌ
 وامض فيمن صحَّ عزمًا واتكل

معنى التوكل

من يَنَم عن سعيه لا يتكل
 مقدم في أمره المتكل
 عازم ماضٍ على خير سنن
 أرايت الطير في نور الصباح
 إنها تخرج في كفّ القدر

إنما التكلان سعي متصل
 واثق بالله فيما يأمل
 لا يبالي بعقاب أو محن^{١٥}
 تطلب الرزق بعزم وجناح
 مُقَدِّماتٌ لا تبالى بالخطر

^{١٥} العقاب: جمع عقبة.

طالبات الرزق في كل رجًا	يا لها من أمل قد صورًا
طائرًا يطلب رزقًا قدرًا	أرأيت العزم في شكل جناح
خافقًا لا ينتثني دون النجاح	لا يصد الطير خوف التهلكة
أو تبالي بطريق مهلكة	ضرب المختار هذا مثلًا
للذي يسعى عظيمًا أملًا ^{١٦}	أرأيت الطير في أوكارها
راجيات رزقها في دارها؟	ثاويات تبتغي أرزاقها
ليس تدري من إليها ساقها	من ونى في سعيه لم يتكل
إنه للوهم والعجز وكل	إنما التكلان عزم وعمل
إنه الإقدام في ضوء الأمل	إنه الإعداد والعزم معًا
إنه الحر إلى القصد سعى	إنه التقدير في سعي البشر
هو عند الله من بعض القدر	همم الأحرار في إيمانها
سنن الخلاق في أكوانها	سنة الله التي لا تبدل
ما لها كزّ الليالي حول	

غفلة بعض المسلمين عن معنى التوكل

أه من لي بقلوب واعية	أه من يفقه هذا الكلام؟
أه من يدرك هذا النغم؟	أيها المسلم ماذا قد عدا؟
كنت في الأرض جهادًا وهدي	أه للنور الذي قد طفئ
أه للقلب الذي قد صدأ	أه للنار التي تشتعل
فيضيء الأرض منها شعل	خمدت فالقلب برّد وهمود
خمدت فالنفس عجز وركود	إن هذا القول زندٌ وحجر
ليت شعري هل لديه من شر	إنني أضرم هذا الألما
علّه في القلب يذكي ضمرا	

^{١٦} جاء في الأثر: «لو توكلتم على الله حق التوكل لرزقتم كما ترزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا».

إنني أنفخ في هذا السواد
 علني أذهب هذا الخبثا
 إنني أبعث فيهم نغمي
 إنني أمطر في أرض موات
 علّ جمرًا محرّقًا تحت الرماد
 علني أمحق هذا العبثا
 علني أبعث ميت الهمم
 علها تنبت ألوان النبات

الأمل

لا ترانا في جهاد نيأس
 أشعل الإيمان في كل دجى
 وارفعن في كل ليلٍ شُعَلًا
 وصل القلب بخلاق الرجاء
 إنما الإنسان فكر وعمل
 أمل الإنسان في القلب ضياء
 إنه النار التي تشتعل
 إن دجا باليأس ليل غيهب
 هو وحي الله يهدي عبده
 هو نور الله في أفق النجاة
 إنه القطب إليه ينزع
 إبرة تهدي إلى قصد السبيل
 يا دليلًا هاديًا في كل وادٍ
 يقدح القلب إذا ما خَفَقَا
 فهو نور وهو نار يلذع
 فأمل الخير وصابر لا تمل
 وقضاء الله عون الأملين
 لا يرد الله قلبًا آملًا
 ليس من أمتنا من يئسوا
 واقدح العزم إذا الهول دجا
 وابعثن من كل يأس أملًا
 واخلقن في كل حين ما تشاء
 يصدع الظلماء في نور الأمل
 وهو في الكف جهاد ومضاء
 إنَّه النجم الذي لا يأفل
 يصدع الظلمة هذا الكوكب
 ويريه في الدياجي قصده
 هو هدي الله في هذي الحياة
 كل قلب وإليه يفزع
 تقصد القطب وعنه لا تميل
 أنت سرُّ الله في كل فؤادٍ
 شررا منه منيرًا محرّقًا
 يوضح النهج وفيه يدفع
 إنما الدنيا رجاء وعمل
 وهو في عون الأباة العاملين
 لا يرد الله عبدًا عاملاً

رُبَّ عبدٍ مخلص قد أقسمًا فأبر الله منه القسمًا^{١٧}
 وجهاد العبد أولى أن يبر إنه الفعل على القول أبر
 إن عزم الحر فيه قسم مضمّر يعلمه من يعلم
 قد تولّى الله هذا المقسم فدعاه في يقين يقسم

الوجدان السليم

ذلك الوجدان إن لم يصدأ من غشاوات الهوى أو يطفأ
 أو تحجيه رياح عاتية صرصر الأهواء فيها سافية
 أو يجلله ظلام الغفلة أو يحجبه حجاب الشهوة
 أيقظ الوجدان يا من غفلا فمضى يحيا حياة هملا
 أيقظ الوجدان واسمع وحيه أيقظ الوجدان واتبع هديه
 إنه المرأة، إما صقلا تبصر العالم فيه مثلا
 اجله بالفكر والعلم معا واجله بالذكر حتى يسطعا
 لا تضع في السوق هذا الجوهرا لا تطع من باع فيه واشترى
 لا تضع في لغوهم هذي الحكم لا تغلّ ضوضاؤهم هذا النغم
 نحن في الدنيا حوانا مهمه مجهل أعلامه تشتبه
 تقصد المنزل هذي القافلة في فيافٍ خاف فيها السابله
 فاتبعن خريتها لا تبلس وأصخ فيها لصوت الجرس^{١٨}
 إنه الوجدان في هذه الفلاة إنه داع ينادي للنجاة
 رأيت الفلك تسري ماخرة في ليالٍ وبحارٍ زاخرة
 تهتدي فيها بنور بارق من منار في الدياجي خافق
 تهتدي النهج على لمحاته وتوقّي الصخر من ومضاته

^{١٧} إشارة إلى ما جاء في الأثر: «رُبَّ أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره.»

^{١٨} جرس القافلة، وفيه إشارة إلى قول سعدي الشيرازي: ما زمنز مقصود من خبريم، أين قدرهست كه بانگ جرس میآید.

وهدتها إبر لا تغفل
قاصدات قطبها لا تعدل
إنما الوجدان في بحر الحياة
إبرة القطب ومصباح النجاة

طغيان العقل على القلب

محنة للناس هذا الزمن
كل ما تبصر فيه فتن
أطلق الإنسان من أغلاله
جرد العالم من أستارِه
وأجال الفكر في طياتِه
وأحاط الأرض من أقطارها
فارغاً في ظهرها أجبالها
طائرًا في اللوح من فوق السحاب
طاوياً أقطارها لا يغترِب
يسمع الهمس بأقصى المغرب
ضاحت الأرض عليه فانتحى
كل إنسان به ممتحن
فتن فيها تحار الفطن
سُيِّبَ الشيطان من أحباله
وانبرى يكشف عن أسرارِه
ومضى يبحث في ذراتِه
ومضى يبحث في أغوارها
مخرجاً من بطنها أثقالها
حيث لا يطمع صقر أو عقاب
كلما يسمو إليه يقترب
من بأقصى الشرق فاسمع واعجب
في ذرى الأفلاك يبغى مسرّحاً

آه لو أعطي قلباً خافقاً
آه لو يعمر قلباً راحماً
آه لو أعمر عينا ساجمةً
آه لو هذب به إيمانهُ
آه لو سيطر في أهوائه
آه لو لم يُغمِه طغيانهُ
ليته لم تُطغِه أعماله
ليته لم تُعشِه أضواؤه
آه لو أن شعاع الكهرباء
ويله من مارِدٍ قد دمرّا
مثلما أُعطي عقلًا بارقًا
مثلما يعمر عقلًا راجمًا
مثلما أعمل كفًا حاطمةً
مثلما مكّنه عرفانهُ
مثلما سيطر في أجوائه
فيهدهم فوقه بنيانهُ
ليته لم تُغمِه أمواله
وتوقر سمعه ضواؤه
في ظلام الصدر منه قد أضاء
ما بناه مخرّبًا ما عمرّا

ليته حاط الذي قد شيذاً بوئام وسلام وهدي
ليته حاط البلاد الزاهرة ليته صان الجنان الناضرة

إن هذا العصر روض مُزهرُ
نضرت فيه فنون الزهر
آه لكن في مهب العاصفة
صرصر تأتي عليه لا تذُرُ
يخرب البستان من قد غرسا
كل طاغ يدعي البستان له
لو تآخؤا ورضوا بالمعدلة
لو تآخؤا واهتدؤا واستثمرؤا
لأووا منه إلى ظل ظليل
وجنوا أثماره وانتفعوا
كل غصن فيه نام مثمرُ
أينعت فيه ضروب الثمر
كل حين تعتريه جائفة
تحطم الأغصان فيه والشجرُ
يهدم البنيان من قد أسسا
يبتغي الأشجار والبنيان له
وجنوا في غير بغي أكله
ثم أنمى عدلهم ما دمروا
ورأوا في زهره كل جميل
ونما بستانهم فاستمتعوا

فتعالؤا ننظر الداء العصي
إن هذا الشعر لا يحصي العللُ
إنه لمحة عين عابرة
إنه نفثة نفس شاعرة
ونرى الأسباب في الداء الدوي
إنه يعيا بذا الأمر الجللُ
ليتها كف طبيب ماهرة
ليتها كف حكيم قادرة

البيت

معبد لله ما أظهره
روضة ينبت فيها الخلق
تنشأ الخيرات فيه وترب
أنفس فيه كنفس واحدة
بل شכול مثلث للوالد
كلها حب وإيثار فلا
فيه سر الله ما أظهره
وترى الحق عليها يشرق
من رأى الخير له أم وأب!
ألفتها في حماها الوالدة
كالمرايا حول وجه واحد
حسد فيها ولا حقد ولا

فَأَخُ يَفْدِي أَخَاهُ جَاهِدًا
وترى الأم عليهم حانيَّة
وأبوهم في غُدُوٍّ ورواحُ
روضة للحب فيها مثلاً
كل خير ها هنا منبُعُهُ
مسجد يعبد فيه الوالدان
يعبد الرحمن من قد عبدا
فإلى توحيده من غير بينُ
إن تشاءوا مثلاً لا يدفع
فاقرءوا يا قومنا كي تشهدوا
«واعبدوا الله» فهيا فاقرءوا
أحكموا الأسرة من قرآنها
واعمروا البيت ببر ووفاء
إن هذا البيت في نظم الأمم
كل بيت ألفت آحادُهُ
ونظام البيت من نظم الكَلِمِ
كل لفظ من حروف أَلْفَا
ونظاماً واحداً يبني القصيد
في قوافٍ ألفت أبياتها
ومعان بعد هذا غاليَّة
هل رأيتم قطُّ من شعر رفيع
كيف تُبنى للمعالي أُمُّ
من بيوت في خلاف وشقاق

وكلا الصنوين يفدي الوالدَا
تسهر الليل إليهم رانيَّة
يبسط الحب عليهم والجَنَاحُ
كل غصن بأخيه اتصلاً
كل برِّها هنا مطلقُهُ
وهما الخلاق فيه يعبدان
والديه وإلى البر اهتدى
قرن الرحمن بر الوالدينُ
بيئاً كالشمس نوراً يطلع^{١٩}
«وقضى ربك ألا تعبدوا»
«قل تعالوا أتلُ» فيها النبأ^{٢٠}
وارفعوا بالدين من بنيانها
وسلام ووئام وإخاء
مثل بيت الشعر في نظم النغم
آزرت أسبابه أوتادُهُ
كل لفظ بأخيه ينتظمُ
كل حرف بأخيه ائتلفا
ليس فيه من قصور أو مزيد
وروي ناظم أشتاتها
ترتقي الأنفس فيها عاليَّة
كل بيت فيه ذو معنى وضيع
من بيوت جمعها لا ينظمُ
يؤذن البيت أخاه بالفراق

١٩ الآية: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.

٢٠ الأيتان: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾، ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.

كل بيت فيه لفظ ثائر كل لفظ فيه حرف نافر
لا تقل فيها زحاف وعِلْلُ بل شذوذ وسناد وخَلْلُ

ليت شعري ما أصاب المسجدا ما أصاب الخير فيه والهدى
لا أرى جمعاً لديه نظماً لا ولا صفّاً لديه قوِّماً
ما أحس اليوم ترتيل القرآن لا ولا أسمع ترجيع الأذان
خرس المنبر عن أصواته عطل المحراب من آياته
ذهب العباد عنه قدداً ومَضَوْا في كل أفق بدداً
غلب الملهى عليه والطريقُ ومضى في غِيَّه كل فريقُ

روضة البيت أراها ذاوِيَّةُ كانت الأمس زهوراً زاهِيَّةُ
صَوَّحَتْ أعشابُها والشجر وذوت أوراقها والزهر
صدفت عنها عيون وإقِيَّةُ وحمته الماء أيد ساقِيَّةُ
غاب بستانيُّها دون إِيَابُ فطغى الشوك عليها والترَابُ
إنها يا قومنا إحدى الكُبَرُ أنعموا التفكير فيها والنَّظَرُ
هي أصل الداء أو أصل الدواء نعمة الأقوام فيها والشقاءُ

اعمروا بالخير هذا المسجداً وابتغوا الخيرات فيه أبداً^{٢١}
اعمروا البيت وردوا والذِيَّةُ واجعلوه حرماً يؤوى إِلِيَّه
نضروا الروضة من إروائها وابتغوا النعمة في أفيائها
أرجعوا الطير إلى أوكانها ليشب الولد في أحضانها
ألفوا الأحرف في كلماتها وانظموا الأمة من أبياتها

^{٢١} المسجد هو الأسرة.

تنافر الجماعة

حسرة الأنفس في هذا الزمان
وعيون حَارَ فيها النظر
يبغض الطرف أخاه ناظرًا
هجر الناس حياءً وأدب
يتجلى الهجر فيها والعقوق
لا ولا الوالد فيها عزًا
من أخيها وقَدَت حسرتها
أو كبير راحم ضعف الصغير
تسمع الألفاظ أصداء لها
تقدح النيران منها في الصدور
بالتئام أو شقاق وعناد
نبصر الحب بها متصلًا
لم يؤلفها على النهج احتساب
ومن الأعداد حُبٌّ وائتلاف
ومن الأعداد رُحْمٌ ووفاق
فهي بُغْضٌ وشِقَاقٌ وفِتْنٌ
فاستقامت في طريق واحدة
وحساب بالغ كل مراد
وانظروا ما الجمع في آحادنا
 واجمعوا هذه الوجوه الثائرة
 واجمعوا بالحب هذا البدأ
أطفئوا بالود هذا الضغنا

إننا نبصر في كل مكان
من وجوه مات فيها الخفر
يلعن الوجه أخاه نافرًا
قطَّعوا من بينهم كل سبب
ثورة تبصرها كل طريق
ليست الأم بها أمًّا ترى
لا ولا الأخت لها حرمتها
لا صغير قد رعى حق الكبير
فترى في قبحها أفعالها
تلك فيض من قلوب في نفور
إنما الناس صلاح وفساد
إِنَّنَا نُبْصِرُ أَحَادًا وَلَا
إنها الأعداد في غير حساب
ومن الأعداد بُغْضٌ واختلاف
ومن الأعداد حقد وشقاق
فإذا سارت على غير سنن
وإذا أَلْفَتْهَا في قاعدة
فهْيَ نظم وائتلاف واطراد
فانظروا ما النظم في أعدادنا
انظروا هذه القلوب النافرة
املأوا الأنفس خيرًا وهدى
اغسلوا بالحب هذا الدرنًا

إنما الأهواء أسباب النوى
إن للحق طريقًا واجدة
ما سوى الحق إليه تستجيب

ما ينال الحب يومًا بالهوى
يجمع الحق نفوسًا شاردة
ليس إلا الحق في جمع القلوب

أرضعوها الحق في ألبانها
واجعلوه قبلة في كل حين
ومن الحق إلى الخير الطريق
ومن الخير إلى الحب المسير

* * *

لا يُرى للحق إلا مشرق
ليس للخيرات إلا منبع
إنما للحب نهر واحد
منبع الحق هو الحق المبين
منبع الخير هو البر الرحيم
منبع الحب هو الله العلي
فأضيئوا النفس من إيمانها
املأوا الأنفس من نور اليقين
إنما الإنسان من لحم ودم
ذلك اللحم إلى ماء وطين
فإذا أطفئ فيه ذا الضياء
إن هذا الجسم ذو وزن وحد
هالك من عاش في ضيق الجسد
أنت في جسمك من طين وماء
أنت في الروح حياة وطماح
أنت في قلبك سرُّ العالمين
لا يحد القلب في الأفاق حد
أيها الغافل عن سر الإله
ضاق عن أمر الإله العالم
كل ما أدركت من معنى جميل
كل ما أوعاه تاريخ البشر
كل ما سجل عن أخياره

كل حق من سناه يشرق
كل خير من جداه ينبع
كل ينبوع إليه عائد
بارئ بالحق كل العالمين
بره في خلقه فيض عميم
هو مولى للبرايا وولي
وانظروا الآيات من إحسانها
وانظروا إبداعها في كل حين
فيه قلب كسراج في ظلم
ذلك النور لرب العالمين
فهو وحش همُّه سفك الدماء
وبهذا القلب كون لا يحد
من يعيش في وسعة القلب خلد
أو قوام فيه لحم ودماء
ورجاء وجهاد وكفاح
فيه أمر الله للخلق مبين
إنه يكبر عن وزن وعد
انظرن في القلب يوما لتراه
وحواه القلب، هذا الخاتم
كل ما أبصرت من أمر جليل
من جلال وجمال وعبر
كل ما حدث عن أبراره

أو تجلّی الله في الكون الكبير^{٢٢} هو خفق القلب يرمي بالشرر فهو نار في دُجَاهَا وهو نور واملأوا الآفاق منه بالسنى ارفعوها عن معانِ خامدّة ومعانِ كلها نبت التراب لا رياش ومَتَاع لِلْبَلَى وزنه بين الورى منيته حلقن في جوّها مثل العقاب من لهذا الكون في يوم وغد أبصر الإنسان يا قومي هوى	هو نور الله في القلب الصغير هو نبض القلب في الدنيا انتشر إنما الإيمان بالدنيا يدور فاجعلوا منه تباشير المنى ارفعوا الأنفس فيه صاعدّة عن متاع وطعام وشراب قيمة الإنسان قلب للعُلَى كل ساع قدره بغيته أيها القانع دوداً في تراب أيها السادر في لهو ودد أنقذوا الإنسان من هذا الردى
---	---

* * *

ليكون الحق فيه خُلُقًا أنت في الأرض عن الله وكيل قسم الأرزاق يومًا بيديك واحكم بالعدل ما بين العباد وأزل من أرضنا هذا العناء وسلام ووداد وإخاء وانعمن بالأمن في أفيائها واملأن بالخير آفاق الدُّنَى علم الإيثار والزهد الغني وهي في عينيه لغو وزيوف فعلة في الخير أغلى عنده كل ما ينفق منها مغنم	أيها المسلم يا من خُلِقَا انهضنْ يا صاح بالعبء الثقيل قد قضى الخلاق بالأمر إليك سيطرن بالحق في هذي البلاد أنقذ الإنسان من هذا الشقاء املأ الأرض بحُبِّ وصفاء واحكمنْ بالحق في أرجائها واملأ الآفاق حقًا وسنًا علم الإيمان والحق العلي زهد من يملك آلاف الألوف قولة في الحق أغلى عنده كل ما يمسك منها، درهم
---	---

^{٢٢} الكون الكبير: القلب.

هذه الأموال جمعًا يا بني
إنها اللعبة في عين الحكيم
جوهراً يحسب من لا يعرف
إنما الجواهر قلب قد أضاء
لا يعاف الحرُّ أكل الطيبات
ربما استولى على أعدادها
أخذًا أو معطيًا لا يشره
عَبَدَ الدنيا ولا تستعبده
حائماً للرزق صقراً طائراً
فإذا شيم هواناً فزَعَا
واستمد العز من همته
فإذا الماء لهيب ودخان
وإذا سد عليه كل باب
إن موت الحر في ذلته

لا تساوي ذلة الحرِّ الأبي
إنها الدرهم في كف الكريم
وهي عند العارفين الصدف
وسع الأرض جميعاً والسماء
أخذًا في الأرض كل الثمرات
ربما أوفى على آماها
رابحاً أو خاسراً لا يأبه
فاكها في نعمة لا تفسده
لا يربغ الرزاق فيها صاغراً
مثلما يفزع من قد لسعا
واستثار النار من عزمته
وإذا الحلم ضراب وطعان
فارق الدنيا إلى غير إياب
وحياة الحر في عزته

قال لي شيخ وقور ألمعي
كنت يوماً في عيون ونخيل
ومعي من أهل نَجْدٍ نَفَرُ
وإذا صقر علينا حَلَّقَا
أسرع الرفقة في نصب الشَّرْكَ
وهوى فانقض هذا الأجدل
فطوى سقطيه هذا المهلك
وأتى الصياد للطير الأسير
سابع الجو بخيط علقا
ذلك الصياد في جو السماء
قاهر الجو بعزم وجناح
ضاقت الأجواء عنه مسرحاً

من بني ينبع شهم عربي
في القرى من ينبع النخل الجميل
اصطياد الطير فيهم وَطَرُ
ساحباً في جَوْهٍ قد خَفَقَا
وسمانى وضعوها في الشَّبَكِ
بل هوى هذا القضاء المنزل
وثوى في حبله يرتبك
عينه في اللوح لكن لا يطير
ذلك الخفاق فيه أخفقا
صاده بالختل صياد القضاء
بدل الشَّبَاك من متن الرياح
كيف يرضى في إسار مطرحاً؟

ثم قال الشيخ جننا ننظر
فإذا دمة عين هاملة
ذا يسمى «الحر» من بين الصقور
فكن الصقر الأبى العاليا
واحذرن يا حر هذي التهلكة
إنها معركة للأبطن
في وغاها كل حزم ضيعا
لا تغرنك مرايا بارقة
إنها رأس بلا قلب يسير
قد أضل الغي هذي الأمما
فدعاها في ظلام تصطدم

لنرى الأجل أنى يؤسر
وإذا المهجة فيها سائلة
لا يطيق الأسر من بين الطيور^{٢٣}
وكن الحر الكريم الآبى
احذرن من خوض هذي المعركة
ضل في غوغائها ذو الفطن
غاب عنها العقل والقلب معا
وفنون وعلوم خارقة
إنها هرج ومرج وسعير
فتوى إبليس فيها حكما
ورماها في ضلال تحتدم

الشيوعية

أحدث الدعوات في هذي الأمم
تعد الإنسان بالمرعى الخصب
تعد الإنسان أعشاب الربيع
يوعد المرعى ولا شيء له
ليس يرغو سربهم: أين المسير
ويتم الشبه فيه بالغنم
كفره بالله والخبر وما
وضياع البيت منه والرحم
كافر بالله لا بالوثن
يبصر الظلمة عند الصنم

تسلك الإنسان في سلك الغنم
فيه عشب ورغاء ونبيب
ثم عيش مثل ما عاش القطيع
وعصا الراعي تريه أكله
لا، ولا يتغو إلى أين المصير
قطعه عن منبع الخير العمم
فيه إنسان عن العجم سما
وحنان القلب من أخت وأم
كافر بالسلم لا بالفتن
عن ضياء الله والحق عمي

^{٢٣} الحر نوع من الصقور قل أن يعيش بعد إمساكه.

كل ما في البيت من وُدٍ وحُبِّ
كل ما يدعو أناس بالشعور
لا يساوي عنده مكيال حَبِّ
لا يساوي عنده كف شعير
أنعموا التفكير يا أهل النهى
ذاكم السير وهذا المنتهى

إقبال

بين الإقبال من سر الحياة
بين الإقبال من سير الزمان
وأزال الستر عن نور النجاة
وأفاض النور من هَدْيِ الْقُرْآن
بث في النفس كلامًا من شرر
فتقت نظراته كل حجاب
ضاقَت الآفاق عن نظراته
وصلته نفحة من رَبِّهِ
قد ثوى في قلبه كل الجهات
سال في ألحانه دمع ودَمٍ
وَأَزَالَ الستر عن نور النجاة
وَأَفَاضَ النور من هَدْيِ الْقُرْآن
منه عشق الحق في القلب استعر
فرأى الدوحة من تحت التراب
ضجت الأفلاك من أناتِهِ
فتجلى نوره في قلبِهِ
واستوى في فكره ماضٍ وآتٍ
والتقى الماء عليها والضرَمُ

* * *

يا برود القلب خذ من ناره
يا موات القلب خذ من رَجْعِهِ^{٢٤}
يا صغير الهم خذ من همَّتِهِ
يا أسير اليأس خذ آمالَهُ
أيها المسلم صعد في السماء
وخذ الإقدام منه والطماح
ذا جلال الدين من خلف العصور
إنه الإسلام في عزَّتِهِ
فالحياة الحق في أشعارِهِ
يا جمود العين خذ من دَمْعِهِ
يا كليل العزم خذ من عزمَتِهِ
في دجى اليأس أثّر أقوالَهُ
وابلغن في جوها أعلى العلاء
وجناحًا قاهرًا هوج الرياح
قد أتى في شعره نار ونور^{٢٥}
إنه الإيمان في قوَّتِهِ

^{٢٤} الرجع: المطر، كما جاء في القرآن.

^{٢٥} مولانا جلال الدين الرومي والشاعر يعترف باقتدائه به.

إنه القرآن في أنواره إنه الفرقان في أسرارہ

* * *

بلّغي يا ریح في شط النوى أدمعي قبرًا بلاهور ثوى
وامض يا برق بوجدي وهيامي أبلغن قبرًا بلاهور سلامي
إن إقبالًا بلاهور أقام رحمة الله عليه والسلام

دعاء

فالق الإصباح رب المشرقين باسط الليل ورب المغربين!
أنت في الصبح ضياء في جمال أنت في الليل ضياء في جلال
ناشر الشمس خضماً من ضياء طاوي الذرّة شمساً في خفاء
أنت نور في ظهور وجلاء أنت نور في حجاب وخفاء
يا جلياً في دجى أستاره يا خفياً في ضحى أنواره
يا أنيساً في قلوب العارفين وحياة لقلوب الغافلين
يا ضياء العين في النور العمم وضياء القلب في داجي الظلم
قربك المؤنس في هذي القفار هديك المنقذ في هذي البحار
ناظم الكون البليغ المبدعاً محسنا مطلعہ والمقطّعاً
خلقك الألفاظ فيه وافيةً أمرك الوزن له والقافية^{٢٦}
كل لفظ فيه نظار إليك كل معنى فيه برهان عليك
منك هذا العقل، هذا التأثر طالب إياك ساع حائر
جاوز الأفلاك يسعى نحوكا يكشف الأستار يبغي وجهكا
منك هذا القلب، هذا الخافق في الدياجي منك نور بارق
ذاكر إياك راج كل حين خفقه ذكر وشوق وحنين

* * *

^{٢٦} في القرآن الكريم ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۚ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

يصدع الباطل حقًا صائبًا	اجعلن عقلي ضياءً ثاقبًا
واحْبُنِي التوفيق في كل مراد	واشدّدنْ فكري بصدق وسداد
واحفظنْهُ من شقاق ومراء	واملأنْ قلبي بحُبٍّ وصفاء
وجَنّاني فيه غضبًا ماضيا	وارفعنْ في الحق صوتي عاليًا
هوئنْ في عين قلبي ما عداه	اجعلنْ وجهك قصدي لا سواه
واحْبُهُ بالعلم عقلاً بارقًا	امنح المسلم قلبًا خافقًا
واهْدِهِ رَبَّ الصراط المستقيم	امنحنْهُ العقل والقلب السليم
قاضيًا بالعدل إمّا حَكَمًا	واجعلنْهُ في البرايا حَكَمًا
هاديًا للخير لا يسعى لشر	اجعلنه قائداً بين البشر

* * *

أُنَجِّينُ مَنْ بَغِيهَا هَذَا الْأَمُّ	أَنْقِذِ الْإِنْسَانَ مِنْ هَذَا الْغَمِّ
حِينَما أَمَرَ عَقْلًا كَفَرًا	هَدِمِ الْإِنْسَانَ مَا قَدْ عَمِرَا
وَاجْعَلِ الْقَلْبَ عَلَيْهِ أَمْرًا	فَاهِدِ بِالْإِيمَانِ عَقْلًا حَائِرًا
إِنَّكَ الدَّاعِي إِلَى دَارِ السَّلَامِ ^{٢٧}	أَدْرِكِ النَّاسَ بِحُبٍ وَوِثَامٍ

السابع من رجب سنة ١٣٧٠ من الهجرة

في مدينة كراچی

ولله الحمد أولاً وآخرًا

سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ

^{٢٧} في القرآن الكريم ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾.

